

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الْأَبِ لُؤْلُؤِ شَيْخِ الْيَسْعَى

الْجُزْءُ الثَّالِثُ



طَبْعَةُ سَادِسَةُ مُصَحَّحَةٌ

فِي طَبْعَةِ الْآبَاءِ الْيَسْعَى فِي بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٨٩٦

بِرُخْصَةِ مَجَالِسِ مَعَارِفِ وَلايَةِ بَيْرُوتِ الْحَلِيلَةِ ١٧٤

حَقُوقُ طَبْعِهِ مَحْفُوظَةٌ لِّلْمَطْبَعَةِ

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّنْدِينِ

فِي كَيْلَاتِهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنْثَارِ . وَمَكْوَرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمُسَيِّبِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعَيَّنٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَاهِرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَمُنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِزُهُ أَيْنَ . وَلَا يُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعُدُّهُ كَمٌ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحْبِطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتِهِ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعِهِ كُلُّ . وَصَفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ . وَلَا تُخَاطِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأَصْوَرُ . وَلَا تُعَيِّرُهُ الْأَنْثَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تُجْوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَلَتُسْخِلَ عَلَيْهِ الْأُمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودُهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجُلُوسِ . وَالْقَدِيمِ

تَعَالَى لَا جَسَدَ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَأْتِ كَمْ هُوَ . فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ قَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ . فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفِيَّةِ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . قَالَهُاءُ وَالْوَاوُ خَلَقَهُ . فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تَخْلُطُهُ الظُّنُونُ .
وَلَا تَصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَقَارَنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَجَمِيعُهُ مِنْ
غَيْرِ تَقَلُّبٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للعارطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا زَكْنَ مَنْ لَا زَكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْمَلَكِي . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشَمَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
السَّحَابِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُؤْنِسِينَ
لِلْمُتَكِلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَأَمْلَعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوُوفٌ . إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ

أَنَسَنِي ذِكْرُكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ النُّعُومُ لَجَأْتُ إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمْتُ أَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلَبْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَغْضُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَتِمُّوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ فَلْيَنِّي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِّ أَتْبَعَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالسَّيِّدَةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ اُدْعَارَةٍ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتَدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي سَمِجٌ فَسَخِّنِي فِي تَوَابِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا سَمَةِ . وَاجْعَلْنِي أَبْنِيَّ بِذَلِكَ وَجْهِكَ
 وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلَبَنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَبِيرُ الْعُتْمَةِ وَالنِّسْيَانِ فَأَلْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 النُّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالْثَبَتِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ يَتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْيَقِينِ وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فَمَا يُضِيكَ عَنِّي وَالْحَاسِبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِعْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُحْتَجَبَ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسَرَّبَلَ بِالْجَلَالِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَرُّبِ فِي
 قُدْرَتِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكِبَرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَزَادَتْ

الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمُحِبَّتِهِ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحِلْقَةِ . يَا مَنْ
 أَنَارَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ الشَّمْسَ
 الْمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحِلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفْرِقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِشَرِّهِ سَمَاءَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاذِ الْكَرِيمِ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَ بِهِ نَفْسِكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَتَدَّهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّيَتْ بِهَا لِلْكَليمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْخُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَذَكِّرَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمِ الَّذِي فَتَحْتَ
 بِهِ رِثْقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجْجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِزَانَتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْأَقَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتِ وَالْعُصْبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المائدة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَنَادِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْغُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
الْكُرُوبِ . يَا فَاتِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّجَرَاتِ .
يَا مُنْشِرَ الرُّفَاتِ . يَا فَالِقَ الصُّبْحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ . فَجَرَّاعَ
الرَّوْحِ . يَجْلُنُ فِي التَّوْحِ . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلَوِّمَ الدَّادِ .
يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُخَيِّ الْبِلَادِ . يَا مُطَاقَ الْأَسِيرِ . يَا جَارَ الْأَسِيرِ .
يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِيَ الْهَزِيرِ . يَا مَالِكَ التَّوَادِي . مِنْ طَائِعِ
وَعَاصٍ . دَاعِيهِ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أُجِرْ مِنْ التَّجْهِيمِ .
مِنْ هَوَاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ . مِنْ حَرِّهَا الْآتِيمِ . لَسْكِنِي
الْجَنَانَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالذُّورِ قَدْ
تَلَالَا . تَلَقَّى بِهِ الْجَلَالَا (ديوان علي)

٦ وَلِ الْأَصْحَابِ سَمِعَتْ غُلَامًا يُجَدُّ رَبَّهُ بِأَيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
يَا فَاطِرَ الْخُلُقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقِ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسَبِّحَ الْبَرِّ الْخَزِيلِ وَمُسَبِّحَ السَّيْرِ الْجَوِيلِ عِمَامَةُ طَوَاكِ طَائِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَدْ حَكَمْتَ عَادِلُ
عَظَمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَبَلَّ أَنْ يُخَصِّي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَمْنُكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِجَدِّكَ قَائِلُ
رَبُّ يُدَيِّ الْعَالَمِينَ يَبْرِهْ وَتَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ غَفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبَ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا: (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ: تَنَزَّلَا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَنَيْمْتُ الْعِيَالِ لِكَيْ أَرَكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْقَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تُرَابٍ وَبِثُّ مُجَاوِرِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَوِّنِي أَصْغَايَ وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَخْتَفِرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هَيْمَةٌ
رَثَّ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ تَسْمَةُ
طُوبَى لِمَنْ يَجِدُ يَجْبُلُ اللَّهُ مُعْتَصِمٌ عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ :

يَا طَالِبَ الطَّيِّبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَّاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِمَعَاقِبِهِ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّيْرِيَّاقَ فِي الْمَاءِ
٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَأُ
يَا ذَا الْمَلِكِ إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْفَا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَبِّهِ لِمَرَلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كُنْهِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
صَوْتِكَ تَشْفِقُهُ مَلَائِكَةُ قَدْ نَبَّكَ الْآنَ قَدْ ذَهَبَتْ رَاهُ
فِي جَنَّةِ الْجَلَدِ مَا مَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلَنِي بِلاَ خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠. أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَّةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِنَدِّ الْإِنْبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعَ أَهْلُ
الشَّرِيعَةِ عَنِ الْحُرْمَاتِ وَرَوَعَ أَهْلُ الطَّارِفَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْخَاسِبَةُ
وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّيَرُّعُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَرْكُ رِغَابِ الْغَلَابِ
عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ أَلْيَدُ . وَالتَّقْيِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَتَذَرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبُلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخُلُقِ عَنْ مُؤَامَلَةِ
الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَوَكَّلْ
مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ (لبهاء الدين العاملي)

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَا دَعْوَى لَكَ إِلَّا عَفْوُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَنْفَعُ وَيَقْصُرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الصَّبِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يَرْفَعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِشِدَائِدِ كَلِمَاتِهِ يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمُفْرَعُ
يَا مَنْ خَرَانِ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ يَا مَنْ خَيْرَ عِنْدِكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِقْتَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى فِرْعَى لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَنْ رُدِدْتُ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَنْعَمُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يَقْطَعَ عَاصِمًا أَلْفُضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوْاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَادْفَعْ عَلَيَّ وَجَلَ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
خَافُ دُنُوبًا لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ عَجَبُهَا وَبَرَّجُوكَ فِيهَا فَهَوَّ رَاجُ وَخَافُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيحَتِي إِذَا انْشَرَّتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّخَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلُمَةِ اللَّيْلِ عِنْدَمَا يَصُدُّ دُؤُورُ النَّارِ وَيَجْنُو الْأَوَالِفُ
لِمَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَالِسِ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَأَيُّ لَتَافُ

العالم العقلي

١٥ من التلويحات عن أولاد طون الإلهي أَنَّهُ قَالَ: رَبُّمَا خَلَوْتُ فِيْهِ
كثيراً عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَمْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصَرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلاَ بَدَنٍ عَارٍ عَنْ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَيَحْدِثُ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحَسَنِ
وَالْإِبْهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَزِيْمَةِ مَا أَتَقَى مِنْهُ
مُتَجَبِّيًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصَرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْإِبْهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَعْدُرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَوْلِ نَشْئِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرِفَنِي ذَلِكَ الشَّأْنُ
وَقَلْبَنِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْإِبْهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعْ عَلَى احْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَيَحْدِثُ حُجُبُ الْفِكْرَةِ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَجَبِّيًا أَنِّي
كَيْفَ اتَّخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَتَحَبَّبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مِمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطَرِيَسٍ حَيْثُ
أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَابْتَحَثَ عَنْ جَوْهَرِ أَنْفُسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ .

(لِبَهَاءِ الدِّينِ)

قَرَأَ بِشَجَرَةٍ . قَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَبِّ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا رَزَقِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَذَرَ بِأَمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْحَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أُمْنَى دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدْحَالٍ
قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ قَرَأَ بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِي : أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ هَذِهِ الْمَشْرُوعَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرُّكْبُ اأُنْجِبُوا نَ عَلَى الْأَرْضِ اأُنْجِدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ
فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَشْرُوعَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي فَبَرَكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُذَرِّكُ بِهِ الْنَجَاةَ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ :
وَفِي هَذَا الْنَجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حَيْثُ
وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ (للطُّرُوشِيِّ)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَاهَا

١٩ (مِنْ الْمُنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْرَبَتْ وَادْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَقَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمَضْمَارَ . وَعَدَا
السَّبَاقِ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبَ مِنْ خَطِيئَةٍ . قَبْلَ مَنِيئِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسِيهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأَيْهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَمْلُونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّلْمِ . وَذَلَلْتُمْ عَلَى
الرَّزَادِ . وَإِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَاً

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ أَلِ كَالِي) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا نَوْفُ
أَرَأَيْتَ أَنْتَ أَم رَامِقُ . قُلْتُ: بَلْ رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا نَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِيَيْنِ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ إِسَاطًا وَزُرَّابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالَّذِينَ شِعَارًا وَالِدُّعَاءَ دِثَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْتُهُ مُوَأَنَسَةٌ . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُجُ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا تَقَلَّبَ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَتَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّبَائِعُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَمَلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
التَّخَافِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَةِ .
فَقَالَ : لِأَحَدٍ هَذَا السَّبْعُ عَنِ النَّاسِ (وَأَوَّمَأَ يَدِي إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مَنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرُّوحَ
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَحْلِطْنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرَهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُفَّتْ حَلَاوَةُ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتُ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبَسْتَ السَّرَادَ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزَنْتُ لَبَسْتُ
السَّوَادَ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنِّي مُتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَةَ مِنْ أَنْعْرَانٍ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَلْبَغِ أَلْعِظَاتِ النَّظْرُ
إِلَى حَمَلَةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْآجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْحَمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ .
وَأَحْسِنَ سِرِّكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتُبَاهِيَ أَوْ تُتَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسَ مَنْ يُشْغِكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَا وَيُؤْفِكُ فِي هَذِهِ الْعُمُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَتَلَبَّأُ عَلَيْكَ . وَلَا تَنْشَبْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشْيِكَ بِالْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَبْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْفَحِيحِينَ . وَانْظُرْ مَا اسْتَخْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَخَجِّنْهُ . وَأَرْضِ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا نَبِيَّ . مَلَكُوتُكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآمَنَّا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِنَسْجِدَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجِدَّكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمَطْمَاطِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ أَمَانِنَا . اللَّهُمَّ أَجْمَعَانَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَاتِكَ حَتَّى
 تَشْتِغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْلَأَ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نُحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَنِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَقِنَا لَعْمَلِ مَا نَنْوِرُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْغَزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْهَدْرَةُ . قَالَ
 السَّيِّحُ : فَأَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْعَمِرْتُ
 وَأَنَا مُتَّعِبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ فُتْمُ الرَّاهِدِ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ اخْتَوَشْتَهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَافُ مَدْعُورٍ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقَرَّرَ سَهْ أَوْ يَاهُ فَتَنْهَشَهُ . فَإِنَّهُ لَيْلُ خَفَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 أُنْمَتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا قَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظُّمَانَ يَقْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِرَمْدٍ وَتَحْوَدٍ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشِعَّةِ الْفَاضِئَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مُجْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مَرْتَفِعٌ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُتَخَفِضٌ ذَا مُنْجِزٍ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُجِدُوا لَا يَتَبَيَّرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نَفْسِهِمْ عَبْدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَحْمٌ
(لِبِهَا الدِّينِ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ :
عَجِبْتُ لِمَتَابَعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَلِلْمُشْتَرَى دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَنْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَاتِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْقُذُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَزُرْكَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَأْتِيَتْ شِعْرِي مَا أَبَقَى لَكَ أَمْوَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ أَلْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْأَلْفَالُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا أَلَا مَالُ إِلَّا تَجَانُجٌ عَلَيْهَا وَلَا أَلَذَّاتُ إِلَّا مَصَابُ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنَا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا أَلَا نَ سَاكِ
فَلَا تَكْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُفِنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا إِهْوَى مُتَّبِعٌ
 فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَغَدَّعُ
 أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَاصِصُ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ
 ٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
 أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ آتِيهِمْ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
 سَطْوَةً . أَرْغَبُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَقَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
 فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قُبْلَ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا أَنْفُسَكُمْ
 بِرَادِ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخَذُوا عَلَى فِتْجَاءٍ . فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
 الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَيِّدُوا لَهَا قَبْلَ
 أَنْ تَهَيِّدُوا . وَزَرِّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تَرْجِعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْثِقُ عَدَلٍ
 وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ
 ٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَهَنْزِلُ قُلَمَةٍ وَعَنَاءٌ . قَدْ بُرِعَتْ وَنَهَا
 نَفْسُ السُّعْدَاءِ . وَاتَّبَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدُ النَّاسِ
 فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْأَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْفَاشَةُ إِنْ اتَّصَدَّهَا
 وَالْمُغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبِيدٍ اتَّقَوْا فِيهَا
 رَبَّهُ وَتَصَحَّ زَيْنُهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
 إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُصْبِحُ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْلِمَةً ظَالِمَاءَ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يُزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يُنْقِصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَأْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَفْقَدُ عَذَابُهَا
 ٢٧ مِنْ كَلَامٍ بَعْضُ الْبَلَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
 بَرَّتْ . أَوْ أَطْبَقَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
 أَسْفَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَتَمَّتْ نَمَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَتْ وَنَتْ .
 أَوْ مَا جَنَتْ جَنَتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَلَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
 صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفَرَتْ قَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
 نَوَهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لباء الدين)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الدِّينَ عَلَيْهِمْ وَجَدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَخَدِي
 مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ فَهُوَ بِعَايَةِ الْبُعْدِ
 لَوْ بُعِثَتْ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ التَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
 مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِتَاعِمِ الْحَدِّ
 ٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
 إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ فَمُضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
 سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
 سَتَنْقَطِعُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أَنَاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الْهَمُومُ
 لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتْ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
 سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَخِرِكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَذَنُّ لِلْأَنِتَّى يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْقَنَاءِ وَأَنْتَ تَنْفَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَتَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَعْمَلُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَذُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَفْتُونٍ يُخَافُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا إِقْبَرِهِ بِأَدْيٍ بُكَاءُ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَكُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَلِلْجُهُولِ الْجُهُولُ مَنْ يَضْطَعُهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمَوْتُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الحازن :

عَنْتُ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَا حِ الْزَاهِدِ الْطَّنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَهْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَهَنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَتَّخُو بِهِ وَسْنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَنْشَدَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابِرُ
 وَبَنُو الْأَضْمَرِ الْأَكْرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِ وَالْخَابِرُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيِرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُنُودُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَا لِمَلِكٍ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ :

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعِينَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْنَانٍ فَانْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْءَانِ

مَا قَاتَ مِنْهَا فَحْلُهُ وَمَا بَقِيَ قَامَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ الْأَمَوِيُّ كُلُّ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : إِنِّي لَتَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ . فَأَنْشَدَهُ :

بَاوَأَ عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَخَرُّسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ قَالَمُ تَفْقَهُمُ الْفُلُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ عَنْ مَعَالِيهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دَفِنُوا
أَيْنَ أُلْجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالُ وَأَذْخَرُوا
وَطَالَمَا شَبِدُوا دُورًا لِتَحْصَنَهُمْ
أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَا مُعْطَلُهُ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَاقَتْ مَنِيَّتَهُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَقَاتِحَهَا
أَيْنَ الْعَبِيدُ الْأَلَى أَرْضَدَتْهُمْ عُدَدًا
أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْعِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُفَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الرُّمَاتُ أَلَمْ تُنْمَعْ بِأَسْهُمِهِمْ
هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ وَبَذَلُوا
مَا سَاعَدَوْكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأَوْدِعُوا خُفْرًا يَا بَيْتُسَ مَا نَزَلُوا
أَيْنَ الْأَمِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحُلُلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَكَلُ
تِلْكَ أُلْجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتُلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَرْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَتَمَّلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
تَوَلَّى بِالْمُعْصِيَةِ الْمُتَّقِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَبِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيبَةُ الدُّبُلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَنْتَهِلُ
أَيْنَ الْحَمَاءُ الَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوْلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَاقَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَيْتُسَ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَنْشَاكَ مِنْ كَفَنِهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَرَّحًا وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ أَلْمَالِ قَدْ شَغِلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرَوْحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَنَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُتَّعِلُ
 (وَتَرَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ الخواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَخْطَعُ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَهُمَا فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ
 مَلَكْتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسَلِّمُ الْخَوَاصِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِيَنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّاهُ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ
 وَشَوْقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمَلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِمَا يَطْلُبُ الْبَالِيكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَيَأْذَنُهَا وَيُؤَدِّبُهَا فِي طَاعَتِهِ تَقَابُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاصِدُهُ

أَفْتَمُّ . وَرَايْدُهُ أَلَيْتَانِ . وَطَلِيْعَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهَمَا فِي الثَّقَلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأُمَمَ . وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لُغَبٌ . وَمَنْ قَاتَهُ نَهَبٌ . قَالَ : فَمَا يُبْنِي نَتْنَهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَهْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالْتَّقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفِ الدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاحِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَنْ تَجْعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمَنْ يَوْمُهُ . وَيَخَافُ غَدُهُ . يُرْضِعُ نَدْيَهُ وَيُخْرِجُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرِ وَيَمِرُّ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يُسِرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاقِبُ . حَتَّى تَخْلَعَهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكَدِّرَهَا الشَّوَابِبُ . (وفي فضل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوِّنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَنِيَانِ . مُوقِظُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظَّالِمِ . حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ . وَأَكْثَابُهُ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْفُطُوبِ مِنَ الْبُشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْمُحْتَبَى . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

بَكَرْتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُو الْمَوْرِدِ مَرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرِيصَةِ . (وَلِشَّمْسِ أَلْمَالِي قَابُوسٍ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مُفْضَلُهُ وَمُجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أُبْتِنِيَ مِنْهُ الرِّعَايَةُ . أُبْتِنِيَ مِنَ النُّوْلِ الْهِدَايَةُ
(طَرَايِفُ اللَّطَائِفِ لِلْقَدِيسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَائِلًا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا نِعَمَ الْغُصُونِ وَلَكِنْ يُسَمَّا الثَّمَرُ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَلْفَاتٍ مَحْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنْ أَلْفَاتٍ أَجْمَعِهَا قَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فَجَائِعَ الدَّهْرِ :
وَأَضْبَحْتُ كَأَلْبَازِي الْمَنِيِّ رِيْشُهُ يَرَى خُرْقَاتِ الْجَوِي مَخْرُقْنَ فِي الْهَوَا
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ نَعْدَا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَمْصُوصَ الْجُنَاحَيْنِ خَائِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحْيَرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمٌ
بِجَائِهِ وَمَصَائِبُهُ أَمْوَاجُ زَوَاخِرَ تَلْتَظِمُ
وَالْعَمْرُ يُسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقِرُّ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَى ضَوْءُ ظُلَمٍ
وَالنَّاسُ بِحُلُمٍ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صَمٌّ بَكَّةٌ غَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعَمْ
فُرُقُوا فِرْقًا فِرْقًا فِرْقًا وَمَضُوا طَرَفًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ قَيَّدَرَمَا يَكُونُ صُعودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهِيَآتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا وَقَاءَ بَمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذِكْرُ الْمَوْتِ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَّاجِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا نَخَطَّتْهُ الْأَمَانِي بَاطِلُ
فَأَفْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَائِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنْ التَّقَى فَعَمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أَخْرَجْتُ يَمًّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَجِيدًا وَرَمْتَنِيَا لَدَيْكَ يَا عَلِيًّا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِيَّتِي فَفَعَيْتَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَالِكِ عَلَى شَفِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلُ طَوِيلٍ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ إِيَّاسَ بْنِ مَيْتٍ :

ضَعُوا خَدَّيَّ عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفَرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشَتُّوا عَنْهُ أَكْنَفَانَا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَقَبُّوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَفَقَّضَتْ صَبِيحَتُهُ نَالَتْ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرَ مُقَاتِلَتِهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى إِلَيَّ هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوْا فَانْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمَفْدَى تَقَادِمَ عَهْدِهِ فَاسْتَيْتُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَتَأَمَّنُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَيْتَ مُخْرِجُهُ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ غِيبَ التَّقَى
 إِنْ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحَجِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُخَصِّدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارِثًا إِلَى الْهَدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْإِقْدَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَفُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَابْتَغُوا مِنْ صَلَاحٍ يُخَمِّدُهُ
 فَالْمَوْتُ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ يَا يَاهِيكَ مُشْتَعِلُ
 تَنْضِي مِنَ النَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضْ إِلَى ذُرُوءِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنْ مَا
 عَنْ نَجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى ثَمْلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يَنْبِرِي بِكَ الْأَمْلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرْقَى مَكَانًا دُونَهُ زَحْلُ
 بَقَاؤَهَا بَيْتَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُنَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بِحَرِّ الْأَمَانِي
 أَضْمَتِ الْعُمَرُ عِصْيَانًا وَجْهَلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَحْمِ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمُرُورُ مَهْلًا
 فِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّبِيِّ رَافِلُ
 فِي وَقْتِ الْفَسَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرَفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طُمُوحًا وَنَفْسَكَ لَمْ تَرَلْ أَبَدًا جُوحًا
وَقَلْبَكَ لَا يُفِيْقُ عَنِ الْمَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالْثَوَاصِي
بَلَّالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
بِجَرِّ الْأَنْثَمِ لَا تُضْغِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبَكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلَكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَرْذَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجَدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعَشِيَّةِ
وَجَهْدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
٤١ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زَهَيْرٌ :

نَزَلَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُقَاءً آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فَلَا نُوْلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
هَهَكَاتٍ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ أَلْعُذِّرُ زَائِلُ
مَنْيْتَ نَفْسَكَ بِاطِّلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ رَاحِلُ
ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاتِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَكِ مَنِيًّا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرَ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْثُونِينَ
مَفْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحَبِّهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَنْتَ الْأَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشَنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيِّنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَفَبَرَّتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُفَيَّرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تَعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
تُحَدِّثُ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتُكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تُبَرِّدُ فِيهَا مَاءَكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبُهُ وَلَا مِنَ الْإِلْبَاسِ لَيِّنُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَضْرَمَ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَنْبَسَكَ رِداءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وِفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لِمَا جُعِلَ فِي تَأْوِيَتِ
مِنْ ذَهَبٍ تَتَدَمُّ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَإِنَّ الْمَلِكَ يُحِبُّ الْذَهَبَ وَفَدَّ
صَارَ الْآنَ الْذَهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ
وَعَلَّكُمَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حُلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ انْقَضَى إِلَى ظِلِّ الْغَمَامِ - وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَانِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مُلْكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ صَيْقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِئَلَّا يَمُوتَ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسَ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُقَلِّبُ . (وَقَالَ رَيْسُ
الطَّبَّاعِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ النُّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْثِي وَلَدَهُ :

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيْتٍ أَسْفَا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا دَقَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَنَوْرِي ظُلْمَةً الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خُلُوعًا مِنْ كُلِّ بَاقِيَةٍ وَطَبَّ الرُّوحِ طَاهِرُ الْجَسَدِ
يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ أَيْسَ بَرْمِيلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
يَا مَوْتَ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ لَأَيْسَ بَرْمِيلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَعَاوِلُهُ لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةُ اللَّبَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِمَانِ لَهُ حَارَ أَلْعَلَا وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَّتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَفٍّ أَرَلَتْ مِنْ عَضْدِ
يَا قَمْرًا أَخْجَفَ الْخُسُوفُ بِهِ قَبْلَ بُلُوعِ السَّوَاءِ فِي الْأَمَدِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تُجَدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ فَجَعَتْ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلْدُ
لَوْ لَمْ أُمْتَ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدَا لَحَقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْبًا يَفْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبَدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكَنَا وَلَا أُمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أُمْتَلَا حَزَنًا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قَاتُ وَاحْزَنًا وَمَا يُوَدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنًا
يَا سَيِّدِي وَمُرَّاحِ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلَا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلْسِنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا صَمَهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتَ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مَعَاوِضَةً مِنْهُ لَمَا كُنْتَ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى أَلْمُوتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي أَلْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ أَلْمُوتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَنْ عَمَرْتُ دُورٌ يَمُنْ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ بِمَنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِي فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكَنِّي
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْثَمَ لِقَائِكَ . فَقَالَ :

يَا بِي وَأَقْبَى مَنْ عَبَّاتْ خُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَوْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوكُ وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَأِنَّمَا أُدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي لِأَخَاهُ

أَخْ طَالَمَا سَرَّ بِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ اسْتَجِبِي إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ فَالَتِ الْحُسَاةُ تَرْتِي أَخَاهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَعَنُفِ الْأُنْدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيَّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ أُنْفَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُحِمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَا

جُمُوعُ الصُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ بَرَى أَنْضَلَ الْكُتُبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ أَوْلَادِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَا سَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قَتَا وَسُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَهْدَانِ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَفَقًّا فَإِنِّي أَرَى أَلُوتَ وَفَقًّا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزَنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَنَصِيرِي مِنِّي عَلِيٌّ تَعْدَرَا
وَارْحَمَتَاهُ إِصَارَخَاتِ حَوْلُهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْ جِهَهَا لَنْ تَسْتُرَا
مُتَّقِي عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْعِجْرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْمَهِوِيِّ الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرُّهُوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكْغُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقْطَعُتْ لَوْ أَنَّهَا اتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَمُتْرَا
لِحَقِّ الْعَبَّارُ جِنِينُهُ وَلَطَلَمَّا فِي شَأْوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبْرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يُمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حَرٌّ يُمُوتُ لِمُوتِهِ خَلَقُ كَثِيرٌ
وَقَالَ الصَّفْدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبْلَى حَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِعتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذْوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَيْتُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ التَّائِضِي الْبَاؤِلَانِي الْبِصْرِي :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّافِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُقْتَدِمًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بَعِيرَ خَلِيلٍ
 وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تَحْيِيَ مَنِّي وَيُفَرِّدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُهُمْ فِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتَنِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَضَرِّعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفِي لَهُمْ مُنْخَشِعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوْلِيُّ يَزِي أُنْبَا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلَّتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَزِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْعُمَيْمِ :

قَدْ رُزْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَمًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْعُتَيْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوفِّي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رَيْحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رَيْحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتُهُ فِي بَسَاتِينِ أَلْبَىٰ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرَىٰ أَخَاهُ مَالِكًا:

لَهَذَا لَأَمْنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
قَالَ آخِرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْتَانِهِمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رُسْمُ دَارٍ قَدْ أَطْلَقَتْ
هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارِهِمْ
قَالَ الْعَطَّاشُ الضَّيِّي:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخِرُ:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حِقْبَةً
أَلَا فَلَيْتُ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا

أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
عَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَانِيًا
قَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّغْبِ الْمُبَسِّيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرُ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرٌ يُقْفَى عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
 لَعْمَرِي لَنْ عَمَّرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُوهُ وَطَاةَ الْمُتَقَلِّدِ
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللَّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسَجَّنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسَجَّنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
 قَاتَ صَفِيَّةَ الْبَاهِلِيَّةِ :

كُنَّا كَعَصَيْنَ فِي جُرُثُمَةٍ سَمَقًا حِينًا بِأَحْسَنَ مَا يَسْمُوهُ الشَّجَرُ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ فَيَاهُمَا وَاسْتَظْطَرَّ الثَّمَرُ
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
 كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدَّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 ٥٢ وَقَالَ التَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلِمَةً مِنْ خَافٍ يَبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُحِبُّ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيَارُ قُبُورُ
 عَمَتْ قَوَاضِلُهُ قَعَمَ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
 يُذْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالنَّاءِ جَدِيدُ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَشْهُورُ
 فَالنَّاسُ مَا بَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّهُ وَزَفِيرُ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَثَمٌ كَبِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رُبَّمَا اشْتَدَّ . كَالنَّضْرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَفِيلٌ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . فَالْشَّيْءُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالرُّجَّ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

أَفِيلٌ يَضْجُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقِرْبَةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْفُتُوخُ
بِعِطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَاثِرَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كَلْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ . فَقَالَ : مَا الْحِمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسٍ مِنْ هَوْدُونِكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحِمْلَةُ فِي وُجُوهِ
لِلْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالتَّيَّبَتُ فِي مَوَاضِعِ الْقَرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِمَادِ . فَقَالَ :

مَا الْإِنصَافُ. قَالَ : الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
الذُّلُّ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوِّ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قَلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
مَا الْحِرْصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَانَةُ قَالَ : التَّرَاضِي مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ :
مَا الْقَهْمُ . قَالَ : الْفَكْرُ وَادْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فَائِدَةٌ جَامِعَةٌ وَلَمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَثَلَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ زَلَّتِهِ . وَيَرْحَمُ غَبْرَتَهُ . وَيَسْتَرْعُوزَتَهُ . وَيَقْبِلُ
عَثْرَتَهُ . وَيَقْبِلُ مُعْذِرَتَهُ . وَيَرْدُّ غِيْبَتَهُ . وَيَدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ .
وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ بَيْتَهُ . وَيُجِيبُ دُعْوَتَهُ . وَيَقْبِلُ
هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِي صَلَاتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ
حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبِلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُحِبُّ مَقْصَدَهُ . وَيُسَمِّتُ
عَطْسَتَهُ . وَيُرْسِدُ ضَالَّتَهُ . وَيُرْدُّ سَلَامَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَهُ . وَيُزِيلُ إِنْعَامَهُ .
وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
وَفَاءِ حَقِّهِ . وَيُؤَايِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ . وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ
الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانَ وَلَا نَأَامَ . وَلَا
مُغْتَابَ وَلَا قَتَاتَ . وَلَا حَسُودَ وَلَا حُمُودَ . وَلَا بَخِيلَ وَلَا مُخْتَالًا . يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَزِدُّ سَائِلَ .
 وَلَا يَبْغِلُ بَنَائِلَ . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيُخْرِسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . يُتَأَنَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا حُرِّقَ لَهُ . لَا يَزِدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمُعَاوَنَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْنَةِ . يَنْطَفِ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِشْرَتِهِ لِمَا خَصَى مِنْ قَدِيمِ صُغْبِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي تَجَرَّى الْأَمْثَالُ) : قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّلَعَةِ . (أَفَرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخُذُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أُنُوشِرَوَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلِعُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرَوِيزُ) أَطْعِ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعِمَكَ مِنْ دُونِكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُنْزَرِ :

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُنْجِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمُتَنَصُّورُ عَلَى الْفَتَكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَعَبَّلَا
 فَأَجَابَهُ الْمُتَنَصُّورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تَهْمِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بِمُدَّةٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْفَرَّيَّةِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآمِنٌ وَقَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الَّذِينَ شَرِبَتْهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُلِيَ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَمَحِقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
تَزَلَّ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حُمِلَ. وَأَمَّا الْهَاجِرُ فَإِنْ انْتَمَتْهُ خَانِكَ. وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانِكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ. وَإِنْ اسْتَكْتَمَتْ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَلْمِ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْفِظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ زَعِيَّتِكَ. قَالَ : مَا هُنَّ. قَالَ :
لَا تَعْدِ عِدَّةَ لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا . وَلَا يَفْرَنَّكَ الْاُتْرَاقُ وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْاُتْرَاقُ دُرُوعًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْاُتْرَاقِ جَزَاءً فَاتَّقِرْ
الْعَوَافِ. وَأَنَّ لِلْاُمُورِ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهَمْدِيَّ وَفِي يَدِهِ لُئِمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَبِحُكِّكَ أَعِذْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُئِمَتَكَ. فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةٌ أَشْيَاءَ دِرْيَافُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمومِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمومِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمَاعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْإِتَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْهَمومِ الدُّنْيَةِ وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرْجَمَرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ (قَالَ) : تَصَغِي
 الشَّجَمَاءِ وَوَعْظِي الْوُعَاظِ شَفَقَةٌ وَنَصِيحَةٌ وَتَأْدِيبٌ فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا تَصَغِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَتْ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضُوؤُ
 الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْخِ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَا كُنْتُ الْأَحْرَارَ
 وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرْ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا مِنَ الْأَنْفُسِ لِتَنَسُّهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا وَرَاحَتِي الْأَضَاقُ فَلَمْ يَزَحْمَنِي
 مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
 شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ
 فَلَمْ أَرْ نَارًا أَحْرَقَنِي مِنْ غَضَبِي . إِذَا عَمَّكَ مِنِّي وَطَائِبَتِي الطَّلَابُ فَلَمْ

يُذَرِّكُنِي مُدْرِكُ مِثْلِ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلَدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَغْصِيَةِ رَبِّي سَجَانَهُ . وَأَتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئاً أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَنْفِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوََالَ
فَلَمْ أَرْ هَوَلاً مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْءِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذِّبَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السَّوْءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَلَذَّ مِنَ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السَّوْءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً أَمْرَ مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرَاناً أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوْءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ خِمَلاً أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يَذُلُّ الْعَزِيزُ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيُّ وَيَضَعُ الدَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذَلَ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنَّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَثَقَلاً مِنَ الْكَلَامِ السَّوْءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . عَمَرْتُ السَّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَتَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النِّعَمُ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَمْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَبْتُ الْأَقْوَامَ لَامِعَةً وَالشَّدَّةَ وَالنَّائِبَةَ فَلَمْ
أَرْ شَيْئاً أَخِيرَ مِنَ الْكُرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
غَنًى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَارِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْفَرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدَلَّ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشَيْدَتْ الْبُيُوتَانِ لِإِعْزَازِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرَفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَرْوُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُمَى الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَانِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي تَمَّاهُ مُتَعَلِّقُ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قَبَائِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي أَتَقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشَ تَسَاطُطِ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَابَةِ الدَّهْرُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَعْمَالَ
جَزَاءُ فَأَتَقِ الْعَوَاقِبَ وَاللَّيَّامَ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَغَابِلًا
مُتَوَلِّيًا فَاحْذَرْ تَغَلُّبَهُ . لَنِيْمَ الْكُرَّةِ فَخَفْ سَعْوَتَهُ . سَرِيعِ الْغَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنْ
دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَفَامِ الْأَثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَدَوَاءٍ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نَبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبُطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبُطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسُ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبُطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلَّتِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وَخُسُوفَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمُلْكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ إِسْطِطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوِّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِيَّاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعَامَ
 أَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا أَيْسَ لِلْآخَرَى فَاتَّخَذَهَا تَسْلَمًا مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقِرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَبَعْجَةً ضَيْاءِ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُخْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ إِلَى
 نِقَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ جِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمَكِّنُ الْقَائِصَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَتَتَلَعَهُ فَتُخْضِلُ السَّنَادَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يَشَبَّهُ تَصَارِيفَ تَذْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالرَّيحُ وَالنَّارُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالْمَوْتُ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَارَدُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لَجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَتَّبِعِي الْمَلِكُ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ بِتَقْدِيرِ
 لِيَتِمَّ السَّنَةُ . فَيَجْعَلُ رِفْعَهُمْ وَوَضْعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْصَاةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِيلٍ . وَيَقْرَأُ كُلُّ مَنْ مَائِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْبِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَةً فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمطَارَ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَّبِعِي أَنْ يَتَوَلَّى فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَقَمَرٍ إِذَا اسْتَهْلَ نَامُهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ
بِضَوْئِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَبْغِيهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقُهُ فِي مَجْلِسِهِ وَإِدْنَانِهِ
رَعِيَّتُهُ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيْقًا ذُوْنَ وَضِيعٍ يَمْدَلِيهِ . (وَكَا لَنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَاةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لَأَرْضٍ) عَلَى كَثَمِ أَنْ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا وَبَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يُتَعَمَّرُ
عَنْ إِقَامَةٍ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لِينِهِ لَنْ لَا يَنْهَ . وَهَذِهِ
وَأَقْنَالِيهِ عَظِيمُ الشَّجَرِ لَنْ جَاذِبُهُ
(للعارطوشي)

اشعار حكيمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاه :

السَّيْلُ يَتَلَعُّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الشَّجَرُ يَنْظُرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ فَدِ اضْطَحَلَ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرَتْهُ خَمْدًا
وَأَنْ تَوَازَيْتَ عَنْ إِطْفَافِهِ كَسَلًا أَوْ رَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَابَ وَالْكَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدًا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُولُونَ الْفَنَى كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مَقْدَارِ
وَيَلُوبُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَاعِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبُكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَ الشَّمْسُ فِي أَرْجَائِهَا مِثَّةً
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُحْجَةٍ
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخَزَاعِيُّ :

إِنْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلَحْزِيرُ أَيَّامِ الْفَتَى
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجُ
يَوْمٍ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ
قَالَ الْقَطَّاعِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَنْسَوْتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجَهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَفْهِلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَمِلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّفْسِ الَّتِي قُتِلَتْ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعَذِّرَ الْمُرءُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنِّي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكٌ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يَلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذَّلْجَا
كَمْ مِنْ قَتِي قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوهُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ
أَخْلَاقِ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ وَوَضَعَهَا
وَلَا يَغْنُرُكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذِيبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يُجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًا وَفِي الْأَقْلَابِ يَكِي بِدَمِهِ صَيْبِ
 وَاللَّهُ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا يُلِي بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبِ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلايِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
 وَأَنَّ الْقُدْحَ حِينَ يَكْرُنُ قَرْدًا فَيَهْصِرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَالِي
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِيهِ حُسَيْنٍ

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعْظُ وَوَدِّبْ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُنَادِبُ
 وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدِ مُتَحَنِّنِ يَنْذُوكَ بِالْآذَابِ كَيْلًا تَعْطِبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أُمْلَالَكَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتَقَى إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَّلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأُمْلَالُ عَارِيَةٍ تَحْيِي وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّتِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَمَنْ السُّيُولُ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالْعَاطِرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصُوبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي يَعْظَايَهُ يَتَادَبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فَخُشِّيَةً
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُو بَنَاتِي وَخَطِئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجِدُ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرْهُوَكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
وَالضُّيْفُ أَكْرَمُ مَا اسْتَطَمَتْ جَوَارُهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخِيَتْهُ
وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمَنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمُلْقِ السَّامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ يَبْنَ الْوَالِدَيْنِ كُلِّهِمَا
وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
وَلَا تَضْحَكْ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَعَفِيًّا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُلَّ الْأَذَى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاتَّقِ
وَنَافِسْ بِذَلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضِرْ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمِّلٍ
وَكُلْ صَدِيقَ آيَسٍ فِي اللَّهِ وَدَهْ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا
وَأَهْمَمَ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ تَرَوْدَكَ الْخُفَاةَ وَالْتَقِ
وَأَفْئِمْ بِقُوتِكَ فَأَقْنَعِ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ آلَاءِ أَمِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمُودَةِ مَا أَتَلْتَهُمُ الرِّضَا
لَا تَفْئِسْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقِي فِي تَحْلِيسِ
فَالصَّمْتُ يُخَسِّنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْفَتَى
وَدَعِ الْمَزَاحَ قُرْبَ أَمْطَةِ مَا زَحَ

فَلَقَدْ تَفَارَقْتُمَا وَأَنْتَ مُودِعُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
فَلَعَلَّ حَنْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُورٌ بَيْنَ لَا يَنْسَعُ
مَنْعُوكَ صَفْوَ وَدَادِهِمْ وَتَصْنَعُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمُّهُمْ أَلَكْ مَنْعُ
نَفْسِي إِلَيْكَ سِرًّا لَا يَسْتَوْدِعُ
وَكَذَا بِسِرِّكَ لَا تَحَالَةَ يَضَعُ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَأَمَلَهُ خَرَفٌ سَفِيهِ أَرْقِعُ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِلَابِلًا لَا تَدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضْمُهُ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ الشَّرَفَ الْجَسِيمَ مُضْمِعٌ
وَإِذَا اسْتَمَالَكَ ذُو الْأَسَاءَةِ عَثْرَةً فَأَقْبِلْهُ إِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا أَوْتَمَنْتَ عَلَى السَّرَّارِ فَأَخْفِهَا وَأَسْتَرْ عِيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَحْلُمُ
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا خَرَقَ الرِّجَالُ عَلَى الْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِيعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ إِنَّ الْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَبْضَعُ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنْ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَمْشِ سَلَامًا وَأَتَوَلَّ فِيكَ جَبِلُ
وَلَا تُزَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَايِكَ دَهْرٌ أَوْ جَهَنَّاكَ حَرَابِلُ
وَإِنْ صَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى كِبَاتُ الْهَرَبِ تَكُ تَرْدِلُ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَنْتَنِي بَنِي الْمَالِ وَهُوَ دَابِلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مِنْ لَوْنٍ إِذَا الرَّيْحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ قَيْلُ
جَوَادُ إِذَا اسْتَعْيَتْ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ وَعِنْدَ اخْتِمَالِ الْفَقْرِ تَكُ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ دَلِيلُهُمْ فِي الدَّائِبَاتِ قَلِيلُ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيَخْلُلُ يَرْفَعُ وَالْخَطُوبُ تُزَرِّقُ
وَلَأَن يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُقُولُ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنَاقِقُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يُسَازِرُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرِقُ

حَتَّى يَجُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لَا أَتَيْتَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عُقُولِهِمْ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقَا
سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا
وَإِذَا أَمْرُوهُ أَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
٧٤ قَالَ دِرْزَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
أَذْدُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرَ أَكْثَلِهِ
وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرَ لَا أَسْهٍ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَصَلَ جِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبُ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرْكَمْ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

أَلْبَابُ الْحَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا طَيِّفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ عَصَى بِأُمِّهِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمُضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مِنْ أَحْتَاجٍ إِلَى أُنِيمٍ . مَنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ دُقَالٌ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عُنُقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غَثُكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَاوِرِ الْبَحْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدُ وَعْدَةِ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ فَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فُلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجَدَّةَ أَمِنَ الْعِثَارَ (لِلطَّرُوشِيِّ)

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السُّمَّ
أَتَكَالَ عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْأَلُطُّ رَشْوَةٌ مِنْ لَا رَشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ يِعْهُ . وَلَمْ
يُجَسَّ رَيْعُهُ . آذَوِيَةُ الدُّنْيَا تُقْصِرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَنَسِيمُهَا لَا يَفِي بِسُؤْمِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِخْنَ . حَصَدَ الْخِنْ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوِطٍ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُظْفَى . أَعْمَالُكَ
نَيْتٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنَيْتَةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْنَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَهَاتِمَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ الثَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ
أُورَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْقِي . قَالَ : سَلَّ
مَنْ يَدْقِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبُّنَا كَانَ حَتْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَخْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَتَجْعَلُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْتَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ صَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صَفْرٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرِقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَكَذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْهُقُوقِ . (الْصَّافِرُ
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخْتَةٌ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنْ النَّجْمِ .
وَأَجْوَدُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْتَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمَيْةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَنْسُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَاذَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٍ تَجْرَى الْمَثَلُ وَهِيَ لَشَعْرَاءُ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِنَيْرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلرَّءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُودِ الْمَكَايِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ صَلَّتْ وَإِنْ تَقَصَّدَ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبِكَ كُلَّ مَا
 إِنْ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدُ
 إِذَا رُمْتُ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَزْدِرَى بِقَدْرِهِ
 إِنْ الْأُمُورُ إِذَا بَدَتْ لِرِزْوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
 إِنْ تَجِدَ عِيَابًا فَسَدَّ الْحِمْلُ
 تَفَرَّقَتْ غَنِي يَوْمًا قُلْتُ لَهَا
 تَرَقَّبْ جِرَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصِلًا
 ذَكَرْتُ أَلْفَتِي عُمْرَهُ أُنْمَانِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ إِمَارِضِ
 سَبْكُنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لِحَيَاتِنَا
 عَفَاكَ عَمِي إِمَّا عِفَّةُ أَلْفَتِي
 غُلَامٌ أَتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقُ
 يَسُوكُ أَبْعَدَتْ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 قَسَّ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوُدَّ أَنْضِبْهُ
 إِذَا فِيلُ هَذَا السَّيْفِ أَمْضَى مِنْ الْأَصَا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَطْوُّرُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَكَادَهُ مِنْ تَوَهُمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَاطِعًا عَلَيْهَا الذَّبُّ وَالضَّبْعَا
 وَلَا تُخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلُهُ الْإِطْرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قَدَحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَلُهُ التَّذَكُّيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ نَبْثِ الْحَدِيدِ
 إِذَا دَفَّ مِنَ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرٍ وَلَا آبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تُطَاوِعُنِي
 وَلَا تَحْمِلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى
 فَأَلْدُرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صَدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُغَيِّبَنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرَّتِهِ
 لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُ
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطْبًا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْفَرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ نَحْمُودُ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبَهَا
 مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غَنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ أَلْمَابِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْحُجْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرَّتَبُ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضْدٍ
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَيْفِي لَا تَوَاتِبْنِي
 فَمَا كُلُّ مَضْفُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْفَائِصِ
 فَمَا احْتِيَالكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكَفَنِ
 فَأَلْفَيْتُ لَا يَخْلُو مِنْ أَلْفَتِ
 مَ قِيَارَبُ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْمَقَ الصَّبْرَا
 حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلَرَبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّمَلْبُ
 وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
 أَتَيْ بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ تَحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلْسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ تَبَعَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَابَعَهُ الْغَضَبُ
 وَلَا يَمِيشُ بِالْأَقْلَابِ وَلَا أَدَبُ
 تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِزْمُ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيضَاهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْجَمَارُ ثِيَابَ خَزَرٍ
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
وَمَا نِيَّ أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُرَضًّا
وَمَا أَقْبَحَ الْفَرِيضَةِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشَتَّتُ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَلُّ إِلَى بَيْلِ
وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كَبَارًا
وَمَاذَا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزَنِ مَاحِيًا
وَيُمْكِنُ وَضْعُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُفْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعِدَاوَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى النَّشَاءَ مُبِرِّزٌ وَمَقْصَرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَهَاجِلِ الْأَعْمَالِ
وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلٌ
سَبَبُ لُجْمَعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةَ لَا بَسِ
وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
كَمَا خُطِّي فِي الْقِرطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَأَمَكْنَهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّنْطِ تُبْدِي الْأَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
حُبُّ النَّشَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَارِ وَدَيْكَ تَسَاطَرَا . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوْخِذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلَكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَذُوقُ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طَرْتُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُوْخِذُ مِنَ الْجَبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَقَطَّاطُ عَيْنِي . وَأَطْعِمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسِي الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِيدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفُودِ النَّارِ
مَا عُدْتَ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِيدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرْغُوثِ :
إِنِّي لَا تَعْجِبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَزْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبِي

الْجُوعُ. وَحَرَمَنِي الْجُمُوعَ. وَلَا أَزَالُ عَلَيْهِ مَجْهُودَةً. مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ.
مَطْرُودَةً. وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ. وَفِي نَوَائِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ. فَقَالَ لَهَا
الْبَرغوثُ: أَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنَطَةٌ. وَعَلَى رُؤْسِهِمْ مُدْنِدَةٌ. وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي. يَسَبِّبُ سَكُونِي

اللَّبُوءَةُ وَالْغَزَالُ وَالْقَرْدُ

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبُوءَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَابَةِ. وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقَرْدٌ قَدْ
أَلَتْ جَوَارَهَا وَأَسْتَحْضَتْ عَشْرَتَهُمَا. وَكَانَ لِلنَّكَ اللَّبُوءَةُ شِبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغَفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا. وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا. وَكَانَ لِحَارِهَا
الْغَزَالُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ. وَكَانَتْ اللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوَّتًا
لِشَبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ. وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ. وَهِنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حُجْرَتِهِنَّ. فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقتِصَاصِ
وَاحِدٍ فَتَجَمَّلَتْ قُوَّتُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِجَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ
الْقُوَّةِ وَالْعَظَمِ. وَأَكَّكَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَأَسْتَأْلَمَهُ لِأَمْرِ اللَّبُوءَةِ.
فَأَخَذَتْ ظِيًّا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِحَارِهِ الْقَرْدَ. فَقَالَ لَهُ: هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلَعُ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مَكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أَذْكُرَهَا عَافِيَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْخَيْرَانِ. فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ أَخَذَتْ ظِيًّا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا: إِنِّي لَا آمَنُ

عَالِمِكَ عَاقِبَةُ الْبُغْيِ وَإِسَاءَةِ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَفْتِنَا صِي لِأَوْلَادِ
الْعَرَالِ . إِلَّا كَأَفْتِنَا صِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
سَاقَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : هَكَذَا أَغْتَرَّ الْفِيلُ بِعَظِيمِ
جُشْتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَبَّتْ عَنْ حَنْفِهِ بِظُلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبُغْيُ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتِ الْآبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : ذَكِّرُوا أَنَّ قَهْبِرَةَ
كَانَ لَهَا عَشْرُ قَبَاصَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقَهْبِرَةِ .
فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبُهُ فَمَعَدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَوَطَّئَهُ وَهَشَّمَ
رُكْنَهُ . وَأَتَأَفَّ بِبَيْضِهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقَهْبِرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّ مِنْ الْفِيلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِئَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عُشِّي
وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي فِي جَوَارِكِ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْمَاقًا بِحَالِي وَقَلَّةً مُبَالَاةً بِأَمْرِي . قَالَ الْفِيلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَإِنْصَرَفَتِ الْقَهْبِرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفِيلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْعَقَاقِ وَالْعُرْبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
عَيْنِي . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْفِيلِ . وَلَمْ يَذَلُّوا بِهِ يَتَجَاذِبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَتَفَرُّونَ عَيْنِي إِلَى
أَنْ قَتَلُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ صَفَادِعُ فَشَكَّتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْهَيْلِ . فَقَالَتْ
 الصَّفَادِعُ : مَا حِيلَتَا مَعَ الْهَيْلِ وَلَسْنَا كُنْفَاهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبِي مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْنَنَ
 تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتُكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكِبُ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الصَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْهَيْلُ أَصْوَاتَهَا فِي قَعْرِ الْحُفْرَةِ
 تَوَهَّمَ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَهُ مُكْبًّا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تَرْفُفٌ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمُنْتَرِبُ بَقُوْتِهِ الصَّائِلُ عَلَى ضُفْيٍ كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُسْتِي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالَمَةِ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدْ أَهْلًا مُسَلِّكًا لِحَوَائِهَا .
 وَلَا طَرِيقًا لِحُطَايَاهَا . فَلَمَّا أَنْتَهَى الْقَرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤْسَةِ مِنَ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَتْبَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبْوَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطَابُ صَيْدًا وَرَكَتْ شِبَاهًا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ اللَّبْوَةُ وَرَأَتْ شِبَاهًا
 مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا قَظِيمًا . فَأَمْتَلَّتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاحَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دِهَالُكَ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَجْزِعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرْ بِذَرِهِ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَمْنٍ تَأْتِيهِ سِيَاهُ الدَّهْرِ . وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَخْرُجِي مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّجِي لَهُ بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ . فَنَأَتْ اللُّبَّةُ : كَيْفَ لَا
أَجْزَعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفِكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : أَتَيْتِهَا اللُّبَّةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُعَشِّيكِ . قَالَتْ : الْحُومُ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقَرْدُ : أَمَا كَانَ لِنَاكَ
الْوُحُوشُ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءَ وَأُمَّهَاتِ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْقَرْدُ :
فَمَا بَالُكَ لَا تَسْمَعُ لِنَاكَ الْآبَاءَ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصَرَاحًا كَمَا سَمِعَ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
وَقَدْ نَصَحْتُكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ . وَأَلَحَّتْ بِنَفْسِكَ الْعَارُ .
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّلْمِ الضَّعَافِ .
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللُّبَّةُ : وَجَدْتُهُ
مَرًّا الْمَذَانِ . وَلَمَّا عَلِمَتِ اللُّبَّةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْفَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكْمِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ رَكُوزَةً فِي مَطْعَمِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفْتُ عَنْ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَقِظَ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَذَلَتْ الْعَقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عِدْمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمَلَهَا مِنَ التَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ التَّغَلُّلُ
وَأَقْفًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى اخْتِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهَ يَبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كُنْتُ الدَّوَالِبُ
وَالْعَقَارِبُ تُبْرِئِي نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ يُسْمَعُ مِنَ الدَّفَاقِ
بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَأُ لِي نَهْيِي بَأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَأَبَيُّ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعْتُ السَّاعَةَ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْتَمِيزِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهَ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلَاقِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّفَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَبْدِي
الْوَجْهَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَعْتَ لِي نَفْسَكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يُسْأَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَمَا لَا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّخْدِيقُ فِي وَجْهِهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَخْدُثُ فِي الْمَطْبَعِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتُ وَمِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَمَلٍ وَذَهَابِ يَوْمًا بِدُونِ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى اتِّطْلُعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَأْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرِدَّتْنِي شَرْحَاءُ فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَبَ لِي الصَّحَرُ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَمَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَثْرُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَتَّبِعِي أَكْ فِيهَا الْحُجِّي وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ أَنْ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقَتِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنٌ عَظِيمٌ وَعَزَمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَحْيَلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّاكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظُمَ غَيْظُهُ وَخَاطَبَهُ بِجِلْمٍ . وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْمَزِيدُ إِنِّي لَقَدْ تَجَبَّ عَظِيمٍ مِنْ أَنْقِلَابٍ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمَثَلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَقِيَّةً . نَعَمْ إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عُمُرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمِلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَتَمَسَّ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَرْوَفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْأَنْ سِتَّ دَقَّاتٍ لِتُضَيِّحَ مَسَدَاقُ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حِينَئِذٍ : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْأَنْ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِّي وَتَضْيِئِي لَمْ يَلْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 الْوُفِّ وَالْوُفِّ الْوُفِّ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تَنْكُرُ فِي هَذِهِ الْأَلُوفِ
 بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لَا غَيْرَ . ثُمَّ مَهْمَا كَرِمَكَ بَهْدُهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالِكٌ فِيَّ وَأَمَّا أَنِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نُوَدَّ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثَمَالَ أَلَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحَقِيقَةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِئِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوَرَانِ . وَطَفَقَتْ أَلْمَقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا طَوَّرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبُخِ الْمُغْلَقِ مِنْ كَوْنِهِ فِيهِ أَمْتَلَا الْوَجْهَ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَبَسُّمُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبُخِ لِيُفْطِرَ فِيهِ . فَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي بِحَيْثِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لِأَيِّ نَحْوِ الْإِثْنَيْنِ دَقِيقَةً
قَرْدٌ وَغِلْمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَهَرَ بِهَا أَضَاعَهَا
٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قَرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكُ الْقِرْدَةِ وَكَانَ قَدٌ كَبِيرٌ
وَعَرِمٌ . فَوُتِبَ عَلَيْهِ قَرْدٌ شَابٌ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَنَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
تَيْنِ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَمِعَتْ مِنْ يَدِهِ تَبَنُّةً فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِتَاعًا . فَعَجَلَ
يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَأَعْرَبَهُ ذَلِكَ فَكَثُرَ مِنْ تَطَرُّيهِ إِلَيْهِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غِلْمٌ كُلَّمَا وَفَعَتْ تَبَنَّةٌ أَكَّهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقَرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَعَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَافَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَافَتِ غَيْبَةُ الْغِلْمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَحَزِنَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضٌ
لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ فَأَعْتَائَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ زَوْجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ
قَرْدًا وَأَلْفَهُ الْقَرْدُ . فَهُوَ مَوْأَكُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغِلْمَ انْطَلَقَ
بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَبَا بَتَهُ جَارَتُهَا : إِنَّ فَرِيئَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسَكِينَةٌ . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قَرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قَرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
لَهُ الْغِيلَمُ : مَا تُبْتَغِي عَنكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُنْعِمَ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
فَأَتَى سَاكِنِي فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةٍ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ . فَأَرَبَّ ظَهْرِي
لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَزَلَّ فَأَمْتَطَى مَطَا الْغِيلَمِ . حَتَّى
إِذَا سَجَّ بِهِ مَا سَجَّ عَرَضَ لَهُ فَبَحَّ مَا أَصْحَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَكَسَّ
رَأْسَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ الْغِيلَمُ : إِنَّمَا هُمَيَّ
لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِيبَتِي شَدِيدَةَ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَكَ مِنْ الْأَكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي
أَعْتَمَدُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْتُهُ التَّكْفِيفُ . قَالَ الْغِيلَمُ :
أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسُ الْغِيلَمَ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ
قَلْبُهُ قَدْ تَمَرَّعَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ
وَأَسْرَعَ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَبَيَّنَّ لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَنْفُلَ عَنِ التَّمَاسِ
مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
وَأَبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيَّةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفُظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغِيلَمِ : مَا الَّذِي

يَحْسِبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَمِّمًا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُنْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقَرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّمَسْ مَا يُضِلُّ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَذْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا فَاتِ الْأَطْبَاءَ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْقَرْدُ فِي نَفْسِهِ : رَأْسُوءُ تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْخِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِيَّتِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُرَرِّطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ التَّلَاحُ الرَّاظِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْخِرْصِ وَالشَّرُّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَبْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 اتَّمَّاسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَذَلِّبَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أُحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقَرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيَاةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمُرُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفَتْهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَفَرَحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أُحْمِلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَقَضْتَنِي . فَقَالَ الْقَرْدُ : هِيَئَاتِ
 وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

فَارِطًا أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُضَعُّهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْغَنِيمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّاتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُدَبَّ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَتَارُوا ضَبْعَةً فَفَقَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا . فَجَاءَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسِّيفِ مَسْلُوكًا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
فَحَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْرُوْلَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الْأَبْنُ صَبْرًا وَمَقِيلًا وَغَبُوءًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَّتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّامَ لَهُ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَلَانَ الْفَلَّاحِ الدَّرَارِي
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنَتْ قَرْنُهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظْأَفِرٍ
فَقُلْ لِلذَّوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا مِنْ يَوْجِهِ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ : ذئبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةَ مَرُوءٍ بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ . فَتَخَفَ مِنْهَا جَمَلٌ قَدْ خَلَّ ثَلَاثُ الْأَجْمَةِ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْقَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكْدُ يَصِلْ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ حِرَاكَهُ حَرَمَ طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذَّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَفَوَاضِلِهِ . فَاجْتَهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخِجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تُصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذَّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَخَوُّوا نَاحِيَةً وَانْتَمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا . مَا لَنَا وَهَذَا
الْأَكْلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا .
أَلَا تُزِينُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَمْعَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِي
 وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مُجِبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلُ الشَّيْبِ الْمَتَمَرِّغِ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَافِعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُنْتَبِ مُصْلِحَةٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَنْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْهَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَى يَهْدِهِ الْمَلَأَةَ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخِطَابِ . مَعَ مَا عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمْلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْنُكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالْفَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ
 الْوَأَحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَأْتُ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيهِ نَفْسُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمْلَ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمْلُ لَدَى حَضَرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتِمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسِفُهُ رَأْيُهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْبَاهِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَقَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ اخْتَجْتُ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُمَوِّيكَ . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَمَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ .
فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ : أَسْكُتْ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْثِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشَيْعُ الْمَلِكِ . فَلْيَا كُنْزِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتَقِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِي مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطْبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلَّ لَحْمٍ ذِئْبٌ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ اتَّمَسُوا لَهُ عِذْرًا كَمَا اتَّمَسَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طِيبٌ هَنِيئٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشِيَّهُ . فَقَدْ سَخَتْ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّمَا وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليلة ودمنة)

للجدي السالم والذنب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ أُنْيَاضِ لِدِئِبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِيَطْلُبَ صَيْدًا . وَنَصَبَ لِدِئِبِكَ شَبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَادَ يَجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرُ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
الْشَّمْسُ لِلْمُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قُطْعِيًّا مِنَ الصَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادُ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَمَيِّظًا . وَمِنَ الذَّنْبِ عَلَى مَا شِئْتِهِ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يَرِاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْخَرَصُ وَالشَّرُّهُ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَلِلذَّنْبِ عَارِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . عَقَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الْذَّكِيُّ .
فَأَدْرَكَهُ الذَّنْبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفَرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّنْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرُ قَصَابِ الْبَلَاءِ مِنْ قُضْبِهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَخْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا مُغِيثُ الْخِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرُ الْخَطِيرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَمَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبِلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذَّنْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجِبُكَ
الرَّاعِي . لِحَنَاتِكَ دَائِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحِشْمَتَكَ وَمُرَاقَبَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ يَحْسُنُ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَإِبَائِكَ . فَلَمْ تَتَمَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِحِمَائِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْقُرْعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجُرْعِ . فَسَيَعْمَلُ جِوَارَكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ . وَأَتَمَّشَتْ
 وَقَوِيَتْ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمَصَافَاةَكَ . فَأَرْسَانِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَذْنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْفَنَاءِ . وَصَوْتِي يَدُ شَهْوَةِ الذَّهَاءِ . فَإِنْ أَقْنَعَنِي رَأْيُكَ
 أَلَّا أَسْعُدُ غَنَائِكَ غِنَاءَ يُنْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَفْقَرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَعْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُتَوَوَّى كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَّمَكَ . وَيُسْنِي مَا مَلَّمَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 الَّذِيذِي . أَلَذُّ لِلجَّائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيدٍ . وَخَبَرُ سَمِيدٍ . وَلَتَعَطَّشَانِ مِنْ قَدَحِ
 نَبِيدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَنَّاكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالْكَ .
 فَغَنَّ مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجَدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعُصْفُورُ الْحُشَايَهِيِّ جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَأَهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَّائِلَ عُجْبًا وَعُجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْقَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْهَمِّ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّرِيرِ . فَتَدُخِلُ
 الْبَلَابِلَ وَالزَّرَارِيرَ . وَزِدْنِي يَا مُغْنِي . وَغَنِّي لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقَرُّ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَمَّ الْجَدِي الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِيَعَاظِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَالَيْنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَاذَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْفَتَقُ . وَقَالَ :

نِفَوَاتُكُمْ أَنْظَرُوا حَايَ أَبُو مَذْمُةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَنْبَلَ بِالْمَطْرِقِ يَعْدُو . فَاثْمَ يَشْعُرُ الذُّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ بِحُسْنِ السَّمَاعِ غَاوِلٌ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْمَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذُّبُّ الْغَنَمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ مُوْتَرَكَ الْجَدِي
وَأَفْلَتَ . وَنَجَا مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَاقْبَعَى يَعْصُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطَبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
أَلْقَبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ قَانٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْأَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمُلَاثِ وَالْمُلَاثِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحَجَرَةٍ فَوَاتِ الْفُرْصَةَ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطَبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مُضَيَّعُ الْفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَاحْسَنَ مَاوَاهُ . وَكَانَ أَقِطُ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلْفَ وَنَهْ الْمَوَدَّةَ وَالْمَلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْمَعُ لَطْلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَغْرِ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الْفَارِ عَمُرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْأَسْكَانِ . مَاوَى لِرَبِيسِ الْجُرْدَانِ . وَبِجَوَارِهِ
مُخْزَنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِيُضْفِئَ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ تَشْلُلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْإِطْطِ آمِنًا وَيَخُونُكَ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخَوَافِ وَالْمَزَاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْخَيْرَانِ . وَأَسْتَعَانَ بِطَرَائِفِ الْفَارِ عَلَى الْمُسَدَّانِ .
وَأَفْتَكَّرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فَبَكَرًا أَذَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْإِطْطَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُزَامًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِلْتِحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِنْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ إِسْبَابُ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . قَرُبًا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيَعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَجْعَلُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْإِطْطُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَشُورُ فَأَمَّهُ . وَيَفُورُ
حَنَفُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرِي لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأُضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السُّكْنُ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِصَاصِ .
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَتَمَّاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
فَأَدَّاهُ الْفَكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هَذَا اللَّشَّاطُ . وَيَسْتَرَّ بِوَاسِطَةِ الصَّلَحِ بِسَاطِ الْإِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
الْعَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوُثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْعُمُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَتَّعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُمُودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَمِمْ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
الْغَدَاةِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ أَمْوَالٍ مَا
وَقِيتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَمُتَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَاشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُمُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
مِنَ الْخُبْرِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بِقُوَّتِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبَرِّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَبْرُغُ عَلَيَّ . وَيَعْظُمُ
لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْإِضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
الْجُهْدَ وَالضَّيْرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ أَقْطُ
مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنْ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ . مِثْلُ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ الشُّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادَقَةِ . وَتَثَبَّتِ الْحَبَّةُ الْمَوَاقِفَةَ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْ مِنْ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْحُصْلَةَ
الْقَدِيمَةَ . وَنَسْتَأْنِزُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْأُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُعْزِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَةً . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرُكَ وَرَغْبَتِي فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَاكْتَدْتُ ذَلِكَ لِي
يُمَاقَشَانِ الْإِيمَانَ حَتَّى أَسْتَوْفِيَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ إِيْمَانًا فِي حَيْثُكَ
وَدَهَابًا . وَوَوَكُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيبِكَ وَأَنْبِيَائِكَ . فَإِنِّي أَلْتَزِمُكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ حَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَغَدًا وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ . هَذَا الْبَرَّ . أُعْجِبَتْهُ هَذِهِ
النَّعْمُ . وَأَعْلَزَتْهُ هَذَا النَّعْمُ . وَأَقْسَمَ طَائِفًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْذَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقِطْعَ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَزِمُ بِهِ مِنَ الْقَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَعَّ الْقِطْعُ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقِطْعِ دِيكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّقِ لَهْمًا لَهَاءً .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقِطْعِ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشَّقَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَيْكَ : بَمَا ذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِمُخْبَرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَغْرِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْنَاءِ . فَصَحَّحَكَ أَلَيْكَ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَصْحُكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَابِيكَ .
 وَأَنْفَادِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَايِكَ وَغَادِيكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . الْوَاجِبَ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُفْسِدِ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عَقِيدَهُ . وَتَنْقُضُ
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرَمْكَ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمَ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُشِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالْأَشْرِ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ لَوَاجِلُ إِلَيْكَ . لَمَتَّ هَذَا
 وَجُوعًا . وَابْعَثْتُ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ تَبَيَّنَتْ أَنَّ جُرْذًا صَادِقَ هِرَّةٍ . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مِرَافَقَةٌ . فَمَا صَحَّةُ
 الْقَطِ وَالْقَارِ . كَمَصَادِفَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ انْقِطَاعَ هَذَا الْكَلَامِ . تَأَلَّمَ
 خَطَرَهُ بَعْضُ إِبِلَامٍ وَقَالَ لِلدَّيْكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرُ . قَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَالسُّخْتِ الْمُنْفَعِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْفَلَعِ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي السُّلْخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَشْتَقُّ فَيْكَ

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَظْلَمَكَ عَلَى مَا قُلْتَ
إِلَّا مِنْ قُرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْهَيْطِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدَحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينِ
أَنْفَلَقَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا رَفَقَتْ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لَيْتِي مِنْ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَدٌ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُغَشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْحَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبَّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُنْخَفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِيَةٍ . أَوْ زُرُولِ
مُصِيبَةٍ صَائِيَةٍ . مُتَلَقِّيًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُنْخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَتَقَبَّضُ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ . فَخَسَّ وَتَهَقَّرَ . وَتَوَقَّتَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَأَشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدِّيكِ وَاتَّعَمَلَ . وَاتَّقَبَّضَ وَابْرَأَلَ . فَأَرْتَمَدَ
الْجُرْدُ مِنْ شَخِّ الدِّيكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَاتَّعَمَشَ وَاتَّرَوَى .
وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَاتَّقَبَّضَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفَرَارِ بِحَالٍ .
وَالْهَيْطِ بِرَأْيِ أَحْوَالِهِ . وَتَبَيَّنَ حَرَكَاتِهِ رَاقِمَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُمْ وَانْكَهَرُوا . وَرَقَصَتْ سُورَابُهُ وَأَزْبَارُ .

وَلَيْسَ الْعُهُودَ وَالْآيَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
فَوُتِبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الرِّمَانَ وَالْمَكَانَ

المهدد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَالَمٌ بَنَضَ عَيْدِهِ الصُّلْحَاءُ مَنَاطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُذْهَدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَتَنِي بَنَضُ
الْآيَامِ . مَرَّ بِالْهُذْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبْعِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِإِسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالِدِيَّاجِ لَا تَتَمَدَّدْ فِي هَذَا الْإِمَّاكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْهُذْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسَلَكُ الْإِمَّاكَانِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتُ عَلَى الْعُهُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًّا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَنَزَّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصُّحُكِ إِلَيْهِ . وَأَتَجَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصُّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّهُ مَنْ يَمُرُّ عَلَى خُرْعِيَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُذْهَدَ فِي يَدِ الصَّيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْضُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يَهْنُهَا تُقْلِسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
فَسَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ بَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ شَجَرَةً أَلْغَ
وَلَا مَا وَرَاءَ. وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ. كَيْفَ خُذِلَ لِمَا عَوِيَّ
وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ. وَكَذَلِكَ غَيَّرَهُ مِمَّنْ أَشْتَهَرُ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ. وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرْتُ بِمِدَّةِ بَصَرِي. ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي. فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
أَسْبِصَارِي فَوَقَعْتُ فِي غَمٍّ أَغْتَرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ. مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَعُذْرَانُ تَضَاهِي رِيَاضَ الْجِنَانِ. وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَكِ. مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَكِ. فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ. فِي دَعَا وَخَيْرٍ. يُرْجَى
الْأَوْقَاتِ. بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ. كَانَ فِيهَا بَرَكََةٌ.
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَأَنْفَذَرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ. فَاتَّقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْآثَاءِ. تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ.
وَأَرْتَجَحَ لِقَوْتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابَ الْعِشَاءِ. فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ. يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقَوْتِ. فَلَمْ يُفْخَعْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَعْلَى السَّمَكِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ. وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ. عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيْالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرِّفَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَزْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقْفَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَثْنَاءِ لَاعِمًا . قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
أَسْتِمْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَتَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تُكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْمُضْفُورُ وَدَسَمُهُ . أَسْمَعَ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ نَحْمَرْنَا
فِي صَوْنِهِ أَنْقَضَى . لَا تَجْعَلْ فِي ابْتِلَايَ . وَلَا تُسْرِخْ فِي ضِيَاعِي . فَنِي
بِمَآئِي قَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
أَسَمَكَ فَأَلْكَ كُلَّ عَيْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ . وَوَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بُوجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي ابْتِلَايَ كَبِيرُ قَائِدَةٍ . وَلَا أَسَدُ
لَكَ رَمَقًا . وَلَا أَشْغَلُكَ مَعِدَةٌ قَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَفْقِرُنِي فَيَنْ
أَجِبْ وَلَا أَسْتَفْنِي فَأَلَاؤِي أَنْ أَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ .
فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادَقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَجْعَلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْقَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعْمَيْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَمْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمِلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا النُّجُونُ . أَغْرَاهُ
الطَّمَعُ . فَمَا ابْتَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَبَجَرِدٍ مَا قَتَحَ فَاهُ بِالْهَمْزَةِ . اُتَمَلَّصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَغَاصَتْ
فِي الْمَاءِ . وَتَحَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعَ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
لِتَتَأَمَّلَ عَقْبِي أَمْرَكَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَضِ الثَّرَى لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخَلْقِ وَدِيكٌ .
مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَوَدَعَى عَلَيْهِ
مِنَ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُؤُونٍ . وَقَلَسَى
حُلُوهَ وَمُرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِثِمَاعِ شِبَالِكِ مَصَايِدَ .
وَتَحَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَائِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيِّنِهِ
نَوَائِبَ وَشِدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَنَعَائِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
كُتُبِ حِيلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَضِ الْجُدْرَانِ . فَغَطَّرَ
فِي عَطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . قَرَأَى خِيَالَ تَلَجِهِ الْفَتَقِي .
وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِي . وَنَنَصَّ بُرَائِلَهُ الْمُنْشَ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنْشَ .
وَالثُّوبَ الَّذِي رَفَعَهُ نَقَّاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبَرَّقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
نَفْسُهُ . وَآذَنَ فَاطِرُ بِهِ جِسْمَهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَجْتَرُّ . وَيَتَصَفَّ
وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّمِيعةِ . قَصَمِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتُهُ الْآذَانَ . فَأَذَى
صَوْتُهُ الْكُتَّانِيَّ وَاللَّهَانَ . فَسَمِعَهُ ثَلَبٌ . فَقَالَ : مَطَابٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُذْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْإِخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوفَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصَّيَاحِ فِي الْآذَانِ . فَإِنِّي لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقَوْتِ . وَوَصَائِبَ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدَى مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَعُ تِجَارَةٍ . وَأَتُبْعُ مِنْ الْوِلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَنْفِقْ مِنْهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نُظَيْرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَزْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرًا مُتَادِيًا فَتَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءَ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . وَنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَاتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبِهَائِمُ وَالصَّبَاعُ . وَالْأَزْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّمَرُ وَالْحِمَامُ . وَالنَّصَبُ
وَالنُّونُ . وَالذُّبَابُ وَأَبُوقَلَمُونَ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِنصَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمُصَادَقَةُ . وَحُسْنُ

الْمَعَاشِرَةَ وَالْمُرَافِقَةَ . فَتَحْنِي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُتَابُ . وَيَبِيْتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْغَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْزَبِ . وَيَتَأَخَى الدِّيكُ وَالثَّعْلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنَ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مَتَانٍ مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّعْلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالْدِّيكُ يَتَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْجَبَالِ . فَقَالَ الثَّعْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَجِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَاسِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْحَسِيَّةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَتَلَفَّتْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسِرُّ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَتَلَفَّتْ
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلْ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدِ شَيْءٍ . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُطْلِعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَازِلًا . وَنَفْعًا إِلَى الْعَنَانِ قَاطِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْحَصَنِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانُ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانُ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أَحْزِلُ تَحْقَهُ . وَلَا أَرِيحُ تَسْبَقَهُ . فَرَجَعَتْ قَوَانِمُ الثَّيَابِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمَذَرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحْتَقَ
رُؤْيَتَهُ . وَاتَّبِعْنِ مَهْيَتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادِي يَا أَبَا النِّجَمِ . يُخْلِفُ النِّجَمَ فِي الرَّجَمِ . وَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ النَّمَايِ . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَضْحَكُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ التَّاجُ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ أَمْدَاكَ : وَإِذَا كَانَ وَقْدُؤُتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبِلَ يَدَاكَ .
وَنَقْدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمُصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَتَصِيرَ رِفَاقَهُ . وَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَتِهِ حَاجَةٌ . فَدَعَ عَنْكَ الْحَاجَةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَخْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ أَمَّاكَ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالْعَلَبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَتْلَفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخُلَاصِ جَانِبًا

لِلْعَلِّ وَاللَّحِ

٩١ كَانَ جَمَالُ قَمِيرٍ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ . وَبَيَّتَتْهُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَجَدَّ فِي تَهْقِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَا زَمَتَهُ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالُ . وَالْجَمَالُ لَا يَقُ لَهْ بِحَالِ .
وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِالْإِسْتِقَالِ . فَنَبِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمُسَمَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ أَشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزْنَ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْخَلِجَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَلُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَصْلَ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلُهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَصْمِيرِ هَذَا الدُّمْلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . أَقْدَفُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَوَّرَ وَجْهَ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكٍ هَذَا الْاِقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْاِذْتِهَاصِ وَالْاِذْتِهَاصِ .
تَحْتَ خِمَلٍ كَالرَّصَاصِ . فَوَيْلَ يَتَرَضُّكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاةِ تَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَصَلِّ مِنْ
خِمْلِكَ وَتَتَفَرَّغْ . وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْخَلِجَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكُرَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكََةَ . فِيمَا أَنَّهُمْ يُنِيرُونَ
خِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرِجِحُ بِذُوبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْعَفُونَهُ . فَتَحْمَلُ
الْجَمْلَ لِلْأَرْبِ الْمُنَّةِ . وَشَفَّ بِدِرِّ هَذِهِ أَنْفَالِنَا أَذْنُهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْخِمْلَ الْمَهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْخَافِضَةَ

بَرَكَ. فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْرَكَ. وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ. حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجِلْدِ نِصْفَهُ. ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاصَةً. وَخَرَجَ مِنَ الْخَفَاضَةِ. وَلَا رَمَ هَذِهِ
 الْعِلَادَةُ. إِلَى أَنْ أَهْضَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ. فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ.
 فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَائِمِيَّةِ وَيْلَةٍ. وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ. وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ. وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا. وَبَالَغَ فِيهِ تَبْيِئَةً وَثِقَلًا. وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءَ. ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ. فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ. وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ. فَشَرَبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَلَا الْبَرَكَ. ثُمَّ أَرَادَ
 النَّهْوضَ. فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ. فَقَامَ مِنَ الْمَشَقِّ. مَا لَا يُطَاقُ. وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَلِيلُ. عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بَاضَةً أَفِ التَّثْقِيلِ. فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ. وَكَانَ فِي تَذْيِيرِهِ تَذْمِيرُهُ. وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ.
 وَأَمَّا مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ. وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ. أَنَّ الْعَدُوَّ الْعُدَارَ. وَالْحُسُودَ
 الْمَكَارَ. يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي. وَيُفَرِّغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا
 كُلَّهَا. وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّةَ وَجْهِهِ. وَلَا يُقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ. فَتَارَةً تَذْرُكُ مَكَائِدَهُ. وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ. وَتَارَةً
 يُنْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا. فَلَا يَشْعُرُ الْحُصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا. وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ. لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

الْبِسْتَانِي وَالْارْبَعَةُ الْعَاشُونَ بِحَسْبِهِ

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مِنْكُمْ. يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ. فَهِيَ

بَعْضِ السِّدِّينَ . قَدِيمَ فَرِيَّةٍ مَنِينَ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَالْكِمَةُ وَمُخْلٌ وَرُمَانٌ . قَفِي بَعْضُ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتْ أَنْفَوَاكُهُ
بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتْ الثِّمَارَ مَلَابِسُ الْأَشْجَارِ مِنْ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْمامِ .
فَأَلْجَأَتِ الضَّرْوَرَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ . أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ ثَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ فَقِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَمُّوا . وَنَامُوا
وَأَتَقَفُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَرَّفَ الْمَلَاكِ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاشًا وَنَاكِشًا . فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى أَنْ يَخْزِي فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّلَاخِيزِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّفْخِيزِ . فَابْتَدَأَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْمَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْفَالْكِمَةِ . وَطَايِبِهِمْ بِالْمُنَاقَاةِ . وَسَاحِ
بِالْمُمَازَاةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَاحَاةِ . إِلَى أَنْ أَطْمَأَنَّنُوا وَاسْتَكْنَوْا وَاسْتَكْنَوْا .
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عُبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أُنْتَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ خُزْتُمْ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالطَّرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُهَانُونَ مِنَ الْحَرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقَضَاةِ جَبِّي . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا فَقِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيهِ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيعُ الشُّكْلِ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسُ حِجَابِنَا . يَحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَبِمَجْلُ نَفْسِهِ لَنَا

وَقَايَةً . وَنَبِيٍّ فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نَكَايَةً . بَلَّوْا مَدْيِدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرِزْقِهِ .
فَهُوَ بَعْضُ اسْتِخْفَافِهِ وَدُونِ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِأَقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ . فَهُمْ أَفْضَلُ عَلَيْنَا . وَالْإِلَهَ
الْوَحِيدَ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَأِيَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابَهُمْ . يَايَ طَرِيقِ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَحَلِي وَرُمَانِي . هَلْ بَايَتَنِي بِسَالِحَةٍ .
وَزَكَّتْ لِي الْمُرَابَحَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دَيْنٌ . أَوْ عَامِلَانِي نَسِيئَةً دُونَ دَيْنِي .
أَلَمْ تَكُنْ لِي جَمِيلَةً . وَهَلْ بَدَيْتَنِي وَبَيْنَكَ وَسَيِّلَةٌ . تَتَغَنِّي تَنَاوُلَ مَالِي .
وَالْهَجُومَ عَلَى رَأْيِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رِفَائِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ . وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَطْرُقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَأَوْثَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَزَكَّاهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ كَثَّ سَاعَةً . رَهْوَةً لِي
الْحُلَاقَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . رَغَائِزَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرِيفِ نَدَى الْقَعِيهِ الْخَظِيرِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْقَعِي . وَالْفَاضِلُ النَّبِي . أَنْتَ مُنْتَهَى الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالِمُ بَيْتِنَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارَ الْإِسْلَامِ . وَكَلَّتْكَ الْفَارَقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْخُلُولِ فِي
هَذَا . أَفْتَنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ الثَّغْمَانِ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَنَجَّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَوَثُّ
وَتَعَبُّ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهْلَاءُ وَالْأَجْلَافُ . إِذَا ارْتَكَبَ مِنْكَ هَذَا الْخَطُورَ . وَتَطَاعَى الْعُلَمَاءُ
 وَالْمُقَنُّونَ أَفْجَحَ الْأُمُورَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَائِدِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَايِيدِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآمَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَمَا أُنْجَدَاهُ
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ إِلَهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّحِيبُ الْجَيْدُ الْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَنْقِلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ خَطِيرٍ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّاتَةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَلَّهِرِ .
 وَأَنْتَ فَضْلُ الزَّامِرِ سَلَفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدَّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنْ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَعْتَبْ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَبَّ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَغْطِفِ الْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ اخْتِاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحَبْرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَّانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرَبَاطِهِمْ
 وَغَمَلَتْهُمْ تَحْتَ أَبْطَامِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ مَا جَرَى لِعَمَلُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّفْخِيزَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّخْيزِ . أَمْرٌ مِنَ السَّهَامِ فِي تَفْخِيزِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْخِيزِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الْقَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ النَّجْحِ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفْوَهُ. وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينُهُ وَأَنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنْ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْتَعِجِ: الصَّبْرُ أَحَجِّي بِذِي الْحُجَّجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعُ النُّصْرِ (للمقدسي)

٩٤ قَوْلُ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلْتَ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّجِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنْتِ وَأَرَسْتَ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِأَنْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الِاسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ قَوْصُولُهَا قَرِجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسُجْلَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَاقِيقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعِرَاءُ

إِن أَلَمْتُ مُلَمَّةً بِي فَأَيُّ فِي أَلَمَّاتِ صَخْرَةٍ صَمَاءَ
حَاثِرِي أَلْبَاءَ عِلْمًا بِأَن لَيْسَ يَدُومُ النِّعَمُ وَأَبْلَوْهُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِي :

وَأَبِي لَا تُغْضِي مُقْلَتِي عَلَى الْقَدَى وَأَبْسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضَ الْجَا
وَأَبِي لَا دَعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَفْرَجَا
وَكَمْ مِنْ قَتَى ضَاقتَ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ تَخْرَجَا
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ اتَّضَعُضْ لِلْعَدَى وَلَوْ قَطَعَتْ فِي أَلْسِنِ نِكَ الْبَوَاتِرُ
مُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بِيَذَلَّةٍ وَلَكِنَّهَا تَقْتَمُ إِذْ أَنْتَ صَارُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الْأَثَرُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُجَاوِلُهُ فَاسْتَصْحَبَ الْعَبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّامِرِ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِبَتْ بِهِ فَالصَّبْرُ يَذْهَبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرَجٍ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ فَدُضَاءٌ مِنْ بَيْدِهَا صَبِغٌ مِنَ الْقَرَجِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشُّنَيْحُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِيْنِي :

صَبْرًا عَلَى ثَوْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِنِكَائَةِ الْأَحْرَارِ
لَا يَكْشِفُ النِّجَمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا بَسْرِي الْكُفُوفُ لِرَفْعَةِ الْأَقْمَارِ
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِي :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَثِقْ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَبْهَجِ

وَأَرْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَأَخِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ انْفِرَاجٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ نَفِي الْأَوَاءِ قَدْ يُخْذِلُ الصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُرْفَ الْحَرْ
وَأَنَّ الَّذِي ابْنَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَنْدَبُ جَمِيلُ الرِّضَا يَتَّقِي أَلَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقِ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِخَزْمٍ أَنْ يُوَعِّكَ الْغَمُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا تَتَأَبُّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
يَدُومُ كِلَا الْخَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرٌ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشْدَّتْ سَأَلِكُمَا فَالْهَبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رَتَجَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ صَالَتْ مَطْلِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِهِ بَرٌّ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعرفُ عِنْدَ الصَّبْرِ نَضْلُ نَهَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّبِعُهُ أَصْطَبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْجِيهِ مُتَاهُ
قَالَ الْمُرَّادُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَيَا لِحِلْمٍ سُدَّ لَا بِاللَّتْرِعِ وَاللَّثَمِ
وَالْحِلْمُ خَيْرٌ فَأَعْلَنْ مَغَبَّةَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَرَ مِنْ ظَامِ

القناعة

٩٨ إَعْلَمْ أَنَّ مِمَّا تَحْتَقُّهُ الْعَافِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ لَدُنِّيَا
دَارُ الْأَنْكَدَارِ وَحُلُّ الْهُمُومِ وَالنُّمُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَنْفَ الْخَلْقِ

بَلَاءَ وَالْمَا الْفَقْرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَالْكُذْبَاءُ . وَيُقَالُ : اِكْلَلْ شَيْخًا قَامَةً مِنْ أَلْهَمٍ . وَقِيلَ :

لَقَدْ فَنِعَتْ هِمَّتِي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّثْبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاصْكَنْهَا تَوَثُّرُ الْعَافِيَةِ
وَمَا لَمْ رَضِيَتْ الْمُلُوكُ وَالْأَسْلَاطِينُ بِحَالِ الْفَقْرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَمًا
فَارْضَ بِحَالِ فَمَرِكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَدَبَّرْ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدْ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقِمًا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ أَطْفَعِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِطَاطِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَذَكُّيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثِ كَانِ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : اْمْطُرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطُرِينَ
فِيهَا يَجِبُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَنْعَبُهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا
(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَعْتَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُخْتَاجًا إِلَيْهِ
قَالَ آخَرُ :

أَفَلَا تَنِي الْفَنَاءَ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزُّ أَعَزُّ مِنَ الْفَسَادِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِهَا الْتَقْوَى بِضَاعَهُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

غَنَى النَّفْسَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ قَافَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى قَهْرًا
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ أَفْعُ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ نَحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحُجَابَ . وَيَبْعُدُ الْحُجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَتَفَعَّلَ عَلَى جَانِبِ الْبَسَاطِ
وَيُخَاطَبَهُ وَتَعُودَ مَقْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَبْصُرُ عَلَى
مَخَاسِنِهِ بِيَدَيْهِ . وَيُؤَوِّجُهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ نَلِي
أَيَّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَحْبَبْتُ أَوْ لِيَّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاعْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقَبُّ
النِّبْيَةِ جَمِيلِ الطُّوَيْيَةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلَفَ تَارِسُ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُتَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةِ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
قَالَ شَاعِرٌ :

أَعْدَلُ رُوحٍ بِهِ تَحْيَا أَلْبِلَادُ كَمَا دَمَرُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْجُمُ
الْجَوْرِ شَيْنٌ بِهِ التَّعْبِيرُ مُنْتَمِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْنِيطُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَدِلَّ . اسْتَبَغَتْ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكْوَدُوا إِلَيْهَا . قَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَذْكُرُ . قَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً رَوَّقَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا . نَهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَاسْرُتُمْ . وَفَدَرْتُمْ فَاهْرُتُمْ . وَخَوَّلْتُمْ
فَعَسَفْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَتَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ فِيهِمْ
الْأَسْحَارَ نَائِذَةً لَا سِيَّامِنْ قُلُوبٍ اجْتَمَعَتْهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَبَتْهَا .
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَاطْلُمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُنْتَظِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفِلُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَفْقِهِ وَسَاعَتِهِ

(ابناء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الْعَمَلِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى سَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِني عَلَى نَكْرِي عَنِ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا انْفِاقَ دَلَى
يَنْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِلَاقٍ . وَأَخِرَ بَيْنَ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسَرَّتْكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلُ فِي مَسَاءِ تَكْ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ
الْمُتَنَبِّيَّ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَتَفَعَّلُ
الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ. وَانْكَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَحْمِلُوهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَاجِ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعْرُدَ نِعْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَوْ أَوْانَقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تَكَ الْكِرَامَاتُ
وَحَاطُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفْهِ لَوْ عَانُوا عَظِيمَ ضَيْفٍ فِي الْكُرَى مَاؤُوا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي قَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلَفِهِ وَلَا تُعَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْبَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتِ مَيَّ عَلَى تَلُومِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُغْلَ لَا يُخْلِدُ النَّتَى وَلَا يَهِيكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَائِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُفْنِي الْبُغْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْفَرِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرَهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرِ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَسْجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِبُجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُغَيِّبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَانِحِ الْمَاطِلِ وَالسَّلَامِ (للحموي)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمَ دَيْنٍ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبُ
وَلَا أَقْصَلَ لَا تَسْتَرْخِ وَتَرْخِ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَنْدَوَعْتُ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ يَفِيرُ تَمَامُ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا وَالْمَاطِلُ يُذْهَبُ بِعَجَّةٍ إِلَّا نِعَامُ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَنْجُمَ إِلَّا قَاتُ فَانْجُلْ شَرُّهَا وَشَرُّ مَنْ الْيَجُلُ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَاطِلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَتَوَسَّلَ بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقُ أَنْ لَا يَحْتَاجَ
رَأْيَهُ وَحِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُفَعَهُ وَاجْتِهَادَهُ لَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فُطَيْرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُرَفُّ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :
نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جَدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبِدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِمَا جَاهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شُجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ أُنْحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا يَنْفَسُ حَرَّةً بَلَقَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ . بَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَمَعَنَ أَتَقَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضَيْغَمٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَفْنِي عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْهَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْجَحَاحِ
تَسْمَعِينَ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنِ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْمَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعُ لِلْهَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ أَلَّا تُخْتَبَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤْيَدَ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَصْمِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 أَنْبَاءِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَلَّاحُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْيُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَأَنْتِ شَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَخَزَمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أَخْطِئُ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لَا يَنْصُرُ الْمُقَدَّسِي)

وَلَدٌ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ :
 لَا تَخْفَرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَاقِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَائِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُثَبَّتِي مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْعَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَازَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَآةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ فَخِذُ مِنْهَا جَمِيمًا بِالْوَيْقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 مَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالْزَمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَبِي :

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ يُؤَيِّدُ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْعُهُ بَلِيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أُنْحَقُ إِلَّا بِإِيمَانٍ وَلَا أَهْتَكُ إِلَّا سِتْرَ
مِنْ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُقَدِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . يَأْغِي عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَدَبَّرُ نِعَمَ اللَّهِ نِقَمًا وَزَيْدَهُ غُبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حَيْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُخْتَمَرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسَخَّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْنُ مِنْ غَوَائِلِهِ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَتْهُ قَطَعَتْكَ .
وَإِنْ صَرَمَتْهُ سَبَقَتْكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ قُحْمَ الْمُلْكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمِرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْمَرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَافَ عَلَى مَا لَمْ يُتَذَرَّ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَيْلِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْنِينَ
وَيَكْثُرُ لَهُمُ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّة :

أَيَارَبِ إِنْ النَّاسَ لَا يُضِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظِلَاوَنِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ حَبِثُ أَبْغِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بِذِلِّي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَإِنْ طَرَفْتَنِي نِعْمَةً فَرَحُوتُ بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُوتُنِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
كَتَبَ ابْنُ بَشِيرٍ الْمُرُورِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تَرَجَى إِمَانَتُهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَائِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا يَا فَتْرَ صَفْوَا بِلَا رَنْقٍ
خَلَصَ فَوَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ أَلْكُ الْعَدُوِّ الْمُجْتَهِدِ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :

لَا يُخْزِنَنَّكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَالَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رَحَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَتْلُقُ بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِعَاقِلٍ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمُصَلَّحَةُ فِيهِ . وَمَتَى أَسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
فِي الْمُصَلَّحَةِ فَالْسُنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يُجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَائِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ أَلُورِدٍ : بَأْتَنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءَ
تَسْعَةٍ مِنْهَا فِي الْعَقْمِ وَالْعَاشِرَةُ فِي غُزَلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحِكَمَاءِ :
مَنْ طَلَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَفَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ هَلَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيحَتَكَ . لَا تَعْمَدَتْ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَمَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَتَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَادَرَ فِي وَتَاقِهَا .
يَقُولُ الْإِنْسَانُ كُلُّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُمْ . فَيَقْلُنَ
بِحَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَاهَا (للابشيحي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْأَمَلِ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ سَيِّئُهُ مُمْتَوْتُ
مَا زِلْتُ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يَبْأَبُ صَمُوتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالْعَبْتُ دُرَّ زَانِهِ يَأْقُوتُ
١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَأْتَتْ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتَ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكَ
أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَمْتَ مِنْهُ
نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ أَمَانُ بْنُ أَبِيهِ : يَا بَنِيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذَ مِنْ وَخْزِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَأَحْرُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْفُلُوبَ مَزَارِعَ فَازْدَرْغَ فِيهَا طِيبَ

الْكَلَامَ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَبَالَ عَلَيَّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْ ثَنٍ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمَا مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَرَّ
 اللَّهُ وَلَا تُطْلَقْ هَذَا الْخَبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (لشبراوي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَلَمْ يَرْ يَسَامَ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ تَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجِنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِصَالُ
 إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَّتْ عَقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُؤْنٍ الْجَبِي:

رَبِّهِ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تَسَابُ بِهِ وَارْتَعِبْ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالٍ
 لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيكَ وَاطْرَحِ الْفُضُولَ تَحْتَ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آيَةٍ لَا تُتِمُّكَ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَاهُمْ عَقْلُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْإِسْتِبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ إِسْبَابُ
الْمُسَارَكَةِ (للسِّبْرَاوِي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمُسِيرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ تَأْجَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ) : إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ النُّجُومِ اسْتَشَارَ وَزِيرَ بِهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مَنْ أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَافِيَهُمَا عَاقَبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِخِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْغَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ اسْتَرُوا فِيهِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ تَحَاسِينَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَيْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربّه)

قَالَ ابْنُ الْحَلَجِّ الدَّلَيقِيُّ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
أَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَمَّنْ أَوَدَّهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لَا تُطْعِمْ كُلَّ حَلَّافٍ مِمَّنْ هَمَّازُ غِيَابِ مَشَاءَ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّعَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُفُوطُهُ وَضَعَتْهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُنْعَبُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُمْ بِشِرَارِكُمْ . قُلُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُنَ بِالنِّمِاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلِّ شَفَّازٍ . مَلْعُونُ كُلِّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ ثَنَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ (وَالشَّفَّازُ الْخُحْرَشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَّاتُ النَّعَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْوَصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَامَةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّارِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُقَطِّعُ الشَّجَرَةَ قَتَبْتُ

وَيَنْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غَمٍّ يَنَاجِينِي
إِنِّي لَا كَثِيرٌ بِمَا سُمِّتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشَجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَعْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخَرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَانِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفُفْ لِسَانَكَ عَنْ شَتْمِي وَتَرْيَدِي
١١٤ وَقَالَ الْمُأْمُونُ : النَّمِيسَةُ لَا تَتَرَبُّ مَوْدَةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَّبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِدِكَايِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارُ بِهِ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِعَهْدٍ مِنْهُ كَيْفَ يَقْضُهُ وَأَلْوَيْلُ لِدَوْدٍ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للأبشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : الْكُذْبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَحَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاحْتِلَافُ
الْبَيِّنَةِ . وَعَنْ خُمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لَا يَبْنِيهِ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْنِهِ وَيَتَرَعَّضُ لِلْعِتَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَلَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مَتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يَصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالْدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكَذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكَذُوبُ تَحَلُّفًا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرُوهُ بِكَالِهِ وَبَصْمَتِهِ وَبُكَائِهِ وَبُحْجِهِ

الزحاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَا
تَكْرَهُ الزَّحَاخَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الزَّحَاخُ مَنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الزَّحَاخُ أَوَّلُهُ قَرْحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ . الزَّحَاخُ نَقَائِضُ السُّهَاءِ
كَالسُّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالزَّحَاخُ يُوْغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ . وَيُنْقِرُ
الرَّفِيقَ . وَأَزْحَاخُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالزَّحَاخُ يُسْقِطُ
الرُّوَّةَ . وَيُبْدِي الْخُفَى . لَمْ يَجْرِ الزَّحَاخُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
أَنْعَابُ الزَّحَاخِ وَاتَرُ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ تَارُ . وَالزَّحَاخُ يُجْلِبُ الشُّتْمَ صَغِيرُهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرُهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٍ . وَذَكَرَ الزَّحَاخَ بِحُضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُشِيقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحُرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرجل . ويؤميه مثل الجندي . ثم يقول : إنما كنت أُنح . أخذ هذا
المنى محمود بن الحسن الوراق فقال :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بَلَا يُفْقَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحُشَى تَتَسَمَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهَاكَ غَالِبًا أَنْ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخلوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي أَلْبَهَجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ
الْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّقُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعِدَّتُهُ . وَنُصْرَتُهُ وَعِدَّتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَالِيلِ شِفَاءُ الْغَالِيلِ . وَأَيْسَرُ الصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا غَنَهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمَثَلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) إِذَا الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسَاغُ مَرَارَةُ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحِلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الْفَقَاتِ . فَاسْتَرَوْخَ مِنْ نِعْمَةِ الزَّمَانِ بِمَوَاسَةِ الْخِلَالِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمُعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَلِبَضِّهِ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَذْيِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبَغَّى شِمَائِلَهَا
لَمْ تَنْسُ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلْ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوصِلِيُّ :

لَا تَنْسُوْنِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَفْسَمْتَ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
عَذْرُ فَلَيْسَ الْعَذْرُ مِنْ شَيْئِي
وَبِالْمَسْرَاتِ الَّتِي وَلَّتْ
وَعُمْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَالِيَةِ الْأَنْجُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيَغْنِي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَشَتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ رَوْقٍ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرَتْ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغْنِيْنَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظْفِرُهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : اذْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْحِلَافَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لِبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ وَائِنَ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ آتِيَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ عِثْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِيبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَاءِ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى إِلَّا نَامَ وَدَا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمَيْنَا
قَالَ بَشَّارُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو وَمَشَارِبُهُ
فَمِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ لَحَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَابِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرَّتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَاقَدَرُهُ فُجْهًا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّمَالِي وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ الْحَالِ
مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَ فِي قُلْتِ ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَلِكَ مِنَ الْقَمَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فِيمَنْ شِلْ ذَا ثِكْلَتِكَ أَثْمَكَ تَبْنَعِي رَبِّ الْأُمَالِي
 ١٢٢ قَالَ الْعَزْزِيُّ وَالْشَّدِيدُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْحَمَادُ :

كَمْ مِنْ آخِرٍ لَكَ لَسْتَ تُذَكِّرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْبُشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَأْخِجِي الْعُدْرَ مُجْتَبِدًا وَذَا الْعُدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَأَرْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَفْلِي الْمَقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْبُسْرِ
 لَا تَخْطُطُ لَهُمْ بِنَعِيرِهِمْ مَنْ يَخْطُطُ الْعِيقَانِ بِالْأَصْفَرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنُوفِيُّ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ الْحِدْنُ الْمُقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَاجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقَ مَنْ أَصَادِقُهُ حَقًّا
 وَجَانِبَ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبْقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَوَضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّادِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا أَمْرُ أَعْضَلَا
 ١٢٣ قَالَ الْعِمَاتِيُّ : الْأَخْوَانُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ . قَرَعُ بَائِسٍ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرَعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا أَنْفَرُ الْبَائِنِ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِخَاءُ يُنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحَفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاءُ أَصْلُهُ الْكُرَمُ وَأَغْصَاهُ اتَّقَوَى . وَأَمَّا أَنْفَرُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَأَلْمَوْهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربّه)

١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْنُهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَنِي ظُمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثَمَنِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَتَرَ الْبَغْضَ بِالْقَاطِطِ الْهُوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ بِغَيْسٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَوْلِي خَيْرًا وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ قَوْلٌ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَّرَ أَنْ يَفْظَ مَنْ كَانَ نَعَسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نَبِطَتْ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْوَادِثُ فِي عَظَمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَلَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُونِ طَرَفِي وَيَزِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفُهَا
وَتَحَرَّسَهَا مُعَرَّضَةً لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْإِلَهِ بِالْجَدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَنَدَّرَ إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

لَسْتُ كَثِيرٌ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالْتَّمَصِيرِ . (وَلِيَحْمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا بَرٌّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَأَشْكُرُ أَحَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِيلُهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَبُودَ إِلَيْكَ كَمَّادَتِهِ
فَالصَّفْحُ عَنِ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعَشِيرَةِ :

أَوَّاصِلٌ مَنْ هَوِيَ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَّاتِ الْأَنْدَالِ
وَأَحْفَظُ سِرِّهِ وَالْغَيْبِ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاثٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّبُهُ الْأَيَّامُ
وَأَوْرَثُهُ عَلَى غَيْرِ وَيَسِّرِ وَيُفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَلْعَدُّ الْمُذَمَّمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٌ تَخَذْتُهُمْ ذُرُوعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ الْإِعَادِي
وَحَلَّتْهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبُ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فُسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَضْحَكُنَّ لَنَا السُّوءُ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُتَعَصِّمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَرَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُزِنِ الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِينِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسَاسِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْغَتَّايُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَتَرَقَّتْ فَلْيَكُنْ وَبَلَّهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والتكبر

١٢٩ إَعْلَمَنَّ الْكَبِيرَ وَالْإِنْجَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ التَّضَمُّعِ وَقَبُولِ الْأَدِيبِ . وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبِيرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّلَافِ . وَلَمْ تَزَلِ الْحُكْمَاءُ تَتَحَامَى الْكَبِيرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلَكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ أَعْدَائِي مِثْلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للأبشيهي) قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا صَاعَ انْفِتَارِكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعَالِيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفْصَافِ رُتِفَعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا قَالَ آخَرُ :

إِضْغَعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَانْكُظِمِ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِي الضَّبْرَ وَاجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَأَفْقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ اجْمَلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فَبِهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

فِي الْعَقْلِ وَمَاهِيَةِ

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: أَلْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْخُشُوسَاتِ بِالْمُشَاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْأُخْرَى الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يَمْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرَصْدُ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

فِي شَرَفِ الْعَقْلِ

١٣١ أَلْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَأَعْلَمُ أَفْضَلُ قُتْبَةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مُطِئَةٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

صَلَّ مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَمَلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَمَلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَقَرَّ . وَمِنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَقَّرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَبَّرْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرُّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّمَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . أَلْعَمَلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَمَلُهُ . وَعَزِيْزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للسَّهْرَاوِي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : قَالِمٌ يَلْبَثُ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كَكُوكْبِي
 أَفْقِي يَزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرْنِي أَفْقِي وَفَرْنِي بِشَامَةِ يَزِينُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَنَجْدُ
 سَلِيلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيِّهِ الْمُؤَيَّدِ
 يَسْدَانِ أَتْفَاقِ الْتِفَاقِ بِشِيَةِ يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُنْهَدٌ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبٌ مِنْهُمَا أَلْسُنًا. وَلَا أَحْسَنَ أَلْفَاظًا.
وَلَا أَشَدَّ أَفْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوَيَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمْعًا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَايِي. ثُمَّ صَمَّهَ إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ.
فَلَمَّ يَبْسُطُهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَحْدُرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ. (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَالِ أَكْثَرُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهَدَى لِيَنْ أَسْتَهْدَى أَدْلَاةُ
وَقَدَّرَ كُلُّ أَمْرِي مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاةُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسَبَتَنَا جُودٌ وَعَلِيكَ
فَقُرْ يَعْلَمُ تَعْمَنَ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إَعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ.
وَهُوَ أَمِيرُ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ. وَالْأَكْثَرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ. وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ. وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْحَمْدُ مِنْ عَقْلًا وَأَقْبَحَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلًا
فَلَيْسَ يَصْنَعُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سِيلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ. وَأَذْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتِخْفَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مَلِيَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكْنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأيضاً فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَمُجِّنُ إِلَى الثَّمَلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَاسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا آدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَإِنَّمَا الذَّهَبُ الْأَبْيَضُ مُحْتَاطٌ بِالْثَرِبِ إِذْ صَارَ إِكْبَالًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بِغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا يَمْتَنِزِلَ رَفِيعَةً حَلَّهَا بِغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُهُ مِنْهَا . فَيَخْطُ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعَ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَطْهَرَ عُيُوبُهُ .
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَتَعَدَّنْ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ آدَتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْهَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(للشبراوي)

١٣٦ سَأَلَ الْأَحْزَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قِيَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطْنُ . وَمِلاكُ مَا عَلَنَ . وَسَانِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِأَحَدٍ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارَبُهُ
بَيْنَ مَنْ أَتَقَى فِي النَّاسِ صِحَّةَ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَشَيْنُ أَتَقَى فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَافُهُ وَمَنَاسِبُهُ
إِذَا أَكْثَلَ الرَّحْمَانُ لَهُمُ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّ بِهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِم بِالْعَقْلِ يَنْجُوا أَتَقَى مِنْ حَوْمَةِ الطَّلَبِ
١٣٧ قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجِدُّهُمُ أَذْكَى مِنَ الْبَصَرَاءِ . قَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا وَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَشْهُورُ
(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْجُلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَفْعَامٌ . وَقَالَ الْأَمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقَرَأِضِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا يَنْصُرُ الْمُقَدَّسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَحْيَى بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا أَلْفَرَقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ أَبُو بَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَتَقَرَّرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلَغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسْهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفٍ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعِلْمِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يَدَّغِيهِمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنَ الْجَهْلَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا لِصِتَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنِقِ نَقْشِهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِبَشِيهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّيَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاخَةِ نَقْشِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ النَّعْلَمَ قَوْمٌ لَا عُشُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَيْئًا الصَّحِيحَ وَالشَّمْسُ طَالِمَةً أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ
الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالْفَقْدِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمَلِكَ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْمَلُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَفِيهِ جَلَاءٌ لِلْعُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمَرَهُ عَنْهُمْ
فَخَالِطُوا الْعِلْمَ وَأَصْحَابَ خَبَارِهِمْ فَصُبَّتْهُمْ زَيْنٌ وَخُلِطَتْهُمْ عَنْهُمْ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجْمٌ هُدَى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَأَ نَجْمٌ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَعَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ
١٤٢ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مَانٍ
لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ رَطَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدُّهُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدُّهُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكْ غَافِلًا فَدَامَ الْعَقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
وَالْعِلْمُ أَجَلُ قُوبٍ أَنْتَ لَا لِإِسْهُ فَاخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَا
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَخَيَّ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورُ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدِّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
يُسَاقُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِاسِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لَدِي الْعِلْمِ وَالْحُجْبَى فَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَالْجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرُهُ يُعَدُّ كَشَوْكٍ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ لَكِنَّ ذَا يَصْجَبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
إِنَّمِ جَنَى ثَمَرَةٍ تَحْطُ بِبَيْلٍ مَنَى وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بَادِي مُغْرِيَا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيَا وَطَلَّابُ أَلْمَالِ هِمَّتُهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونٍ
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِفَتَى أَبَدًا . وَأَمَّا لِي فَنَفِي وَإِنْ أَجَدَى إِلَى حِينٍ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبَعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَّتْ أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَأَلْسِنُكَ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَتِّنَا بِفَهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بِمَارَضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّلَاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتَ فُتُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 كَمَا سَيِّدُ بَطْلَانِ آبَاؤِهِ نُجَبُ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَاَتَمَسَى بَعْدَهُمْ ذُنُبَا
 وَمُتَرَفٍ حَامِلِ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
 أَلْعِلْمُ كَزُّ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِيحَا
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالَ شَخْصٍ ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ أُنْفُوتَ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذُّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِأَمْوَالٍ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رُفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النُّهْيِ يَزْهَوِيهِ شَرْقًا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِالْآلَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَنْقِصُ الْجَهْلُ أَشْرَاقًا بِلاَ أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَثْرًا فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ وَأَزًّا مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
 فَالْعِلْمُ قَاطِبٌ لِكَيْ يُجِدِيكَ جَوْهَرُهُ كَالْقَوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى الذَّهَبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنُ الرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تُمَالٌ بِهِ الْعَالِي
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَئِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
 إِنْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقًا بِاللَّهِ وَاعْنِ بِهِ وَكُنْ حَامِيًا زَيْنَ الْعَالِ مُخْتَرِسًا
 وَكُنْ قَتِي مَاسِكًا مُخَضَّرًا أَلْتَقَى وَرِعًا الدِّينَ مُتَعْنِيًا فِي الْعِلْمِ مُنْعَسِبًا
 مَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلْكِتَابُ نِعَمٍ أَلَا نَيْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَرْفَعَةُ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمَ الْقَرِينُ وَالْذَّخِيلُ . وَنِعَمَ الزَّائِرُ وَالزَّيْلُ . وَعَاذُ مُلِيٍّ
 عِلْمًا وَظَرَفًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ نَزْحًا وَجَدًّا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجِ
 وَرَوْضٍ يُثَابُ فِي حَجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْهَامَ كُلِّ حِينِ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ لِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يَبُوي .
وَقَمَرٍ لَا يَفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجَدِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجِلْسَ وَضِدَّهُ .
يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُترَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْصِبْ . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمُ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَحَابٍ وَإِلَى
وَأَعْيَانٍ مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِمُطَلِّ بِحُلَالٍ كَثِيرَةٍ وَجَمْعٍ أَوْصَافًا عَدِيدَةٍ .
عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى
أَمْتَعَ . وَإِنْ أَنْبَى أَذْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَزَهْرَةٌ . قَبْرُ
الْأَسْرَارِ وَمَخْزَنُ الْأَوْدَاعِ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَبْذُوعُ الْحِكْمِ . وَمَعْدِنُ
الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَتَأَمُّ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْخِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنْ السَّالِفِينَ
جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةِ مَوَوْنَتِهِ وَخَفَةِ تَحْمِيلِهِ . لَا يَزُوكَ شَيْئًا مِنْ
دُنْيَاكَ . نَعَمْ الْمُدَّخِرُ وَالْمُعِدَّةُ . وَالْمُسْتَغْلُ وَالْحَرْقَةُ . حَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّعْرِ
طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طَابِعَكَ .
وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ حَادَّ عَلَى
الْأَيَّامِ ذَكَرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَزَّهَتْهُ نَوَّهَتْ عَنْهُمْ
بِأَسْمِكَ . يُعْمِدُ الْعَبِيدُ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوفَةُ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكَ فَكَرِّمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الكنز المدفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِثُهُمْ فَإِذَا قَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَنَحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالَمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا تَمَلُّ حَدِيثُهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيَا وَمَشْهَدَا
 يُفِيدُونَ نَا مِنْ عَلَيْهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيَا وَجَدَا وَسُودَدَا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمَوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتَ مُفْقِدَا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكَنِّي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِطُغَالَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَدَمَّ الْوَزِيرُ إِلَى النُّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلِلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِغْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْهَا كُتُبًا فِيْهَا حِكَايَاتُ تَأْهِيهٍ وَأَسْمَارُ تَعَارِبُ (الفخري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْخِفْظِ وَالْإِسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْخِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْقَارُ يُخْرِقُهَا وَالْأَصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْقَوْلِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَلَّاحِظُ : الْبَيَانُ أَنْ تَمَّ جَامِعُ كُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَارُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرُو بْنَ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسَهْلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُكَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَاكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِهِ صُورٍ عَنْكَ نَعْرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظَامٌ بَشَتْ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ الدَّرُّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثُّعَالِبِيُّ : أَلْبَلِغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فُحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا . وَقَالَ
 الْأَمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ : إِنَّمَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِبْجَازِ الْغَلِّ . وَالتَّطْوِيلِ الْمَمْلُ .
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْأَمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا : أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّقْيِيدِ . وَأَصَالُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ الْكَلْبُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرِّعْوَةُ . وَكَثُرَ الْبَلَاءُ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ . بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا . وَيُذْعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعْنَى وَالْقَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَافِ . وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ . فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي . وَإِنْ قَعَرَ سَطَطَ مِنْ عَيْنِي (الابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ : الشَّعْرُ دِيَوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدَبِهَا .
 وَيُقَالُ : الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ . وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلَامِ أُمَرَاءُ . وَقَالَ بَنَصُ
 السَّافِ : الشَّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُقَامُ بِهِ الْجَوَائِزُ وَتُسْتَبْجَعُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَايِمُ . وَيُقَالُ : الْمَدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ . وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَنْ يَفْرِ الشُّعْرَاءُ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَنْتَفِي . وَهُمْ الْحَاكُمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ . وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْجَدِيدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ . إِنَّ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَمِخْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : اَلْتَّرُّ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشَّعْرُ مَيِّتٌ بَقَاءُ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحَمْرَةَ بِنِ بَيْضٍ :
 مَنْ أَشَعْرُ النَّاسِ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعْلُجٌ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدَحِ
 الشُّمَرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ لِيَسْتَحْسِنَ كَذِبُهُ . وَيَحْتَمِلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَبْتَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السُّرُقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكِتَابِ أَمَرَ مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ . لِأَنَّهُ
 قُوَصَلُ بِهِ الْحُجَاسِ . وَتُضْرَبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ تُعْرَفُ بِهِ عَظَائِمُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتَذْمُ وَتُحَمِّدُ وَتُنْجَى وَتَمْدَحُ . وَآيُ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا أَلْقَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَوْلَادِهِنِ مَدَاكَافَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةُ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُنْجِي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطَرَاتُ
 وَمَا لُجْدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ مُخِرَاتُ

١٥١ (فَصْلٌ لِأَيِّ بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعٌ لِمَدَحِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمٍ أَلْفَتَصَارُحُودُ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ .
 إِذَا ذَمُّوا ذَامُوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا . وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ .
 وَإِذَا غَضِبُوا . وَضَعُوا الرَّفِيعَ . وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَارِ . لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ . وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ الْعُقُوبَةُ يَدٌ . غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ . وَقَبِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحْضَرُ . وَشَيْخُهُمْ يُوقَرُ . وَشَابِهُمُ لَا يُسْتَصْرَفُ . سِهَامُهُمْ تَنْهَدُ فِي
 الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجِلَ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدَلٌ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَسَمَاسِرَةُ
 النُّصَرِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ اسْتَمْتَحَنُوا نَاطِقَ الْفَضْلِ . وَأَسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعُلَى . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ .
 يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ . وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ . يَقْصِرُونَ مَمْدُودَهُ . وَيُخَفِّقُونَ
 ثَقِيلَهُ . وَلَمْ لَا أَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْوَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهَيِّمُونَ

(لَايِي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةِ تَدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تَدَارُ تَتَسِعُ وَتَزْدَادُ
 عِظَمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةِ تَدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَيْنَهُ فَقَالَ لَهُمْ :
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ . يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُنْغِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيُكْثِرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . قَالِبُوهُ حُلَةً . وَتَرَيُوا بِهِ حَايَةَ . يُؤَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشِدَ الْأَصْمَعِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِالتَّرْبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الشُّبِّ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمَرُ : مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ إِلَّا بَنَاءَ خَيْرٍ مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَبِالْجُلِّ يُتْلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَأَتَتْهُ وَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَذْرَكَ مِنْ قَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيْ شَيْءٍ ذَاتٍ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَأِنْ قَلُّوا . وَحَمَلُ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَعَلِمَهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيِّ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ أَمَالٍ وَشَيْكُ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ أَنْتِطَاعُهُ
وَأَنْتِظَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خَمُولٍ وَذُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالُ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ يَتَحَوَّلُ السُّلْطَانُ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَدَّ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَمِرِ : حَايَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شئتَ . قَالَ بَرَزَجَهُمْ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِعَاءً وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ حَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبِ الْغَرِيزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَفَرَّغُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنْ
أَصْلِهِ . وَلَا يَتَغَوَّ الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُرَّةٌ لَوْ تَرَكَتَهُ عَلَى الْحِلَاقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَنْقَطِعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِمَرِيٍّ هَبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هَذَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَقَفَدَهُ الْحَيَاةُ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّبُهُمْ عِنْدَ الْقَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرِّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُضْلَعُ كُلُّ أَمْرٍ
وَبِالْجُلْمِ يُقَطَّعُ كُلُّ شَرٍّ (للشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْأَدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُقْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرُرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَغَعَ الْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلَقِّقَ
بِالْأَدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضَمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَانْفَتَحَنَّ يَمِينَا وَلَا شِمَالَا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسُكِّينَ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْقَعُ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يُرَضَّ عَنِ
الْطَّنَّةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِخْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغَنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: أَلْبَسَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنْ يَأْتِي بِهِ؟ وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَمِنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيُويُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمُرءُ وَافَى مَنَزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمَتْهُ لَدَيْكَ أَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْنَ سَائِفٍ مُتَقَدِّمٍ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَسَاشَةُ وَجْهِ الْمُرءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنٌ قَالَ:

اللَّهُ يَلْمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَهَطَارَقَةِ الضُّيُوفِ الْتَزَّلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرْجِيبِ حَتَّى خَلَّتْنِي ضَيْفًا لَهُ وَالضُّيْفَ رَبِّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّلَّةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ إِنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا نَتَفَرَّى الضَّيْفَ قَبْلَ زُرُولِهِ وَنُشِعُهُ بِالْبَشَرِ مِنْ وَجْهِ صَاحِبِكَ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَتَأَمَّرَ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبِشُّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ
 عِنْدَ وَدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَتَضَبَّ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يُنْقِصَ عَيْنَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَقْبَسَ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَدَامًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحُضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِم السُّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُوَاسِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْخِطَابَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَهَذَا قِيلَ : لِأَنَّهُ تَضَنَّى بِسِرَاجٍ لَا يُضِيئُ
 وَرَسُولُ بَطِي . وَمَا نَدَةُ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشِيعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنَ
 الدُّنْيَا الْقَوْتُ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْنَامُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَبَابُ النَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حَكِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّابُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِأَتَشْرَ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دَهْنًا
عَلَى خِنْصِرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَرَأَيْتُ قَطْعَ حَلَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَاوِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلَقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيحًا :
قَصَرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّارُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ الْبَجَرُ لَهُ رَاحَةٌ يَضِيقُ عَنْ خِنْصِرِهِ الْحَاتِمِ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنِسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَاوِرٌ بَدِيحًا :

عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِي تَخْطِي لَهُ وَأَعْتَمَدُ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذَا بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْبَانُ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْإِسْتِخْسَانِ (بدائع البداهة للارزدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَقَتَهُ أَنْوَاعُ الْكَلَامِ فَقَالَ لَا

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْأُورَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقَتْ مُحَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكُنُّ سَوَالِجَ رِجَالٍ مَهَابَةٍ وَجَمَالَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أَمْرُ الْحَجَّاجِ صَاحِبِ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ فَمِنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْمَشَاءِ سَكْرَانٌ ضَرَبَ عُنُقَهُ . فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّائُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ . فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْعُلَمَاءُ . وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيْنِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
رَأَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا . وَقَعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبِدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرُكْبَاهُ لَا يَتَفَكَّرُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخِلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَتْ
 فَأَمْسَكَ عَنْ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حُجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قُوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكَ . فَتَجَبَّ مِنْ قِصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلَسَائِهِ : عَامُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا قِصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابوالملاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْمَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ تَحَابُّبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْمَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِلْعَلَامِ
 لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَحَاتَتِ الْعَلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِخُضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي أُنْجَرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يُغْوَسُ
 فَضْحِكَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَةً .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْجِبَارِ الْفُصُوصُ
 (كِتَابُ الْمَحَبِّ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعُوضَهَا :
لَكَ مَنَزَلٌ كَمَاتَ سِتَارُهُ لَنَا لِّلَّهُوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثُ
غَنَى الذَّبَابِ وَظِلٌّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبَرْغُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غَمُوضٍ
فَذَلِكَ يَتَرَوْنَ بَغِيرَ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضٍ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمُأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاءُهُمْ وَهُوَ غَلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَعْصَانِ
دَوْلَتِكَ . أَفْتَأَذْنُ لِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَذْنَانَا .
بِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَسَّالَهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا

(للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَيَّحَطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَبَّ
أَنْ يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ :
 لَمْ يَصَلُّوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِنْسَانِ مَسْبُوقًا وَلَا مَحْمُولًا
 نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عُيُونِهِمْ شَرْقًا وَمِلَّةَ صُدُورِهِمْ تَجِيلاً
 مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نَكُولًا
 هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْلُ فَارَقَ غِيْلَهُ قَرَأَتْهُ فِي مَحْمِلٍ مَحْمُولًا
 مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ تَرَعْتَ لِبَاسَهُ كَالسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا يَرَى مَسْلُوكًا
 وَقَالَ فِي الْجَنَسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتَ لَيْسَ بِضَارٍّ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُفَمِّدُ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْلُ يَأْلُفُ غِيَالَهُ كَبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ
 فَالْتَمَسْتُ لَوْلَا أَنَّهَا تَحْجُرُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا تَخْبُوءُ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُتْرَهَا الْأَزْنُدُ
 وَالْجَنَسُ إِنْ لَمْ تَعْشَهُ لِدَنِيَّةٍ شَعَاءَ نَعَمِ الْمُنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قُحِطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤُسُ
 الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ
 ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَاسْتَصَفَرَهُ هِشَامُ
 وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
 فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا أَنْتَفَصَكَ
 وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرِ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

كُشِّرُ وَالسُّكُوتَ طَيُّ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَنْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ . فَسَنَهُ أَكَلَتْ
 اللَّحْمَ . وَسَنَهُ أَذَابَتْ الشَّعْمَ . وَسَنَهُ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَرُّوْهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسُوْهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْخَسِينِ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 أَلْهَامٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَارِزَةِ الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّارِئِيِّ)

الشاعر المتروى

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِتَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدِّيٍّ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بِدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدَّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَائِبِينَ سِرًّا : لَا تَكْنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِ بِنْ حَاتِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عَلَيْهَا. قَالَ: هَذَا الْمَدُّ الشَّعِيرَ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا. قَالَ
نَعَمْ. قَالَ: مَا هُوَ. فَأَنشَدَ بِدِيهَا:
يَقُولُونَ لِي أَرْخَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى قُلْتَ لَهُمْ مِنْ عَدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا حَاصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُوحُ هَذَانِ الْيَتَانِ انْجَبَ بِهِمَا. وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ. فَرَسَمَ لَهُ بِجَارِثَةِ سَيِّدَةٍ

المصنوع وابن هبيرة

١٦٩ لما حَاضَرَ الْمُتَّصُرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ:
يَلُزُّنِي. فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ. فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْهَرَنَ أَمْتَاعَكَ
وَلَا عَيْرَتَكَ بِهِ. فَقَالَ الْمُتَّصُرُ: مَثَلُنَا مَا قِيلَ: إِنْ خَزِيرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ: قَاتِلْنِي. وَقَالَ الْأَسَدُ: لَسْتُ بِكُفُوفِي. فَأَنِي إِنْ
قَاتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ. وَإِنْ قَاتَلْتَنِي لَحِقَنِي وَضُمُّ عَظِيمٌ. فَقَالَ لِأَخْبَرَنَ
السَّاعَ بِكُؤَالِكَ. وَقَالَ الْأَسَدُ: أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ الشُّطْحِ بِدَمِكَ. فَخَلَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقُّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفَرَاقِ:

مَا الدَّارُ قَدْ غَبَبْتُمْ يَاسَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْغِبْتُمْ لَنَا جَارُ
غَبَبْتُمْ فَأَوْحَشْتُ الدُّنْيَا بَعْدَكُمْ وَأَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَفْطَارُ
لَيْتَ الْغَرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَغْرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تَرَى تَعُودُ لِيَالِنَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدُنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ :
 أَتَيْتُ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ وَمِقْدَارِ مُهْدِيهَا
 لَوْ أَنَّ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تُهْدَى إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ
 (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَرْغِيدِ الْبَلْبُلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبُلُ الْمُغْرَدُ فِي الْتَخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ ذُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْتَانِ نَخْلَةٍ وَرَشَانَا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمُغْرَدُ سَجَّوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَخْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَفَائِرِ الشُّرُودِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عَمَلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُبْثٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّخَايَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 أَلَمُوتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ أَلْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمَاتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهِ وَإِنْ خَالَفَتْ فَالنَّارُ
 فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَاذَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ عَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَغْرَابِيُّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِإِلَادِي فَاسْتَهْتَمْدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رَنْجٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقَطَعَ عَنِّي فِيهِ عَيْدُ التَّمَانِمِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُودَعًا :

لَا وَدَعْتُكَ ثُمَّ تَدَمَّعْتُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فِرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فِرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي خُجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَرَّرًا بِعَجْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفَدَّى مِنْهُ مَا تُفَدَّى
أَشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْبًا مُرْضِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمًّا إِلَّا مُحَمَّدَةً وَقَدَّا

قَالَ : قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : اَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
 مِنَ الْحَزَنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
 ١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيَّ قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْمَاقَ فِي شَيْءٍ
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :
 لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاوَدَافِي أَلْقَدِرُ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
 فَصَحَّحْتُ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْمَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
 يَفْكِرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ أَنْ تَضَاهَيْهِ عَلَى ذِكْرِي (الآغَانِي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :
 قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هُنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
 لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهِمْ وَتَبَوُّوا
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا أَلْقَتُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا أَلْسَابُ
 ١٨١ قَالَ تَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْقَارِسُ الْمُسْجِعُ الْمَغِيرُ إِنْ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
 لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْقُبَارُ مُثِيرُ
 وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ يَقُومُ فَتَيْلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
 حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذَّعْرِ وَيَعْلُو الصَّيَاحُ وَاللَّكْمِيرُ
 أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ فَنَحْرِدُ

١٨٢ مَثَلٌ دَغِيلٌ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجَزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلِ
 وَلَا نَتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتُ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
 قَالَ لَهُ . قَاتَلَكَ اللَّهُ : وَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدَ رَبِّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَنْجِي خَيْثًا:
 رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَنْجِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهَا بِالظُّلَمِ يَسْمَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَعَقْرَبٍ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة الجعدي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْجُعْدِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدَخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَأَدَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ الْيَمْنَى . فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَعْمًا فِي
 الْأُخْرَى . فَمَنْ لِي أَنْ قُلْتُ :

بِسْرٍّ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
 خَلِيفَةُ يُنَجِّي وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَادُ
فَرَمَى بِالْدُّرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَارُ (للاردي)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ يَتِيمِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَاَفَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَأَلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنِمْ دُعَائِي وَالتَّنَاءُ أُلُوَافِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ . وَأَنَا الْمَالِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَفَرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَنَّهَا مُسْتَحِيرَةٌ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا الْمَثْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَأَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مُحَاطَكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَغْدَادَ فِي حَرَاةٍ فَأَعْتَرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنِ صَفِيٍّ الْخَلْقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أذْنَيْتَ مِنَ الشُّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي آيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا عَرَفْتُ كَيْفَ لَا تَعْرِقُ
وَيَخْرُجَانِ مِنْ قَوْعِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطِيقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لابن خلّكان)

جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجَاسِرِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ . وَقَالَ لَهُمْ : لِيُقْلَ كُلُّ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ . فَبَدَرَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :
أَنَا أَنْمُطِرَانُ وَالْأَشْعَرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْأَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
قَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعْجَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ نَصَبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
قَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضُرِبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَصَحَّحَكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

فَدَيْتُكَ بِأَرْوَحِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُسِبْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُفُوفِ تَبْلُجُ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْجَنَسِ هَمًّا وَوَحْشَةً
فَمَنْبُكَ قَدْ مَا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُغْرِي عَلَى طَابِ الْحُجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ
فَإِنَّ لِلْحُجْدِ تَذْرِيبًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْفَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا
تَمُوتُ فَتَبُتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا

١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفَرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الشَّيْءِ فَصَارَ
يَتَوَكَّلُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى أُنْتَتَيْنِ قَوِيًّا
صُرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَعْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا نَجَلْتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُودَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمَوْجِئِي فِي الْهَيْمَةِ قَائِلُ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَدِ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا تَوَا جَمِيعَا
أَدْعَوَتَنَا حَتَّى تَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَذْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةَ وَهِيَ مَكَانٌ مَشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّاسِ تَذَكُّرَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَأَنِي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَهَا رَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ سُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُوهُ بِالْأَشَائِدِ وَيَتَأَلَّوْنَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيَنَامُ كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أَرْجَحَتْ
مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِي إِلَى السُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطَرِّفُنَا بِدِيَارِ بَيْتِ مِصْرَ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَغَيَّرٌ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الثَّجْبَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَذَابِكُمْ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ أَبْصَرَ
أَجَابَهُ أَعْوَرٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ تَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ :

بِأَيِّ مَنْ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً أَلَمْتُ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبْتُ أَنَّ بَيْعِهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنَشْدُ صُرْدُ الرَّشَاعِ ابْنُ جَهْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتُهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادْتُهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرْتُهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضَرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتَ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أَرْدَمَتْهُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هَرَّتِي وَأَنْبَسُ نَفْسِي دَفَاثِرُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَنْطَرُ لَائِي هُدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِعَجَلِهِ الْكَرِيمِ وَأَنَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزَتْ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمِطُّهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
٢٠٣ كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعَرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعَرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنُوهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْلَتُكَ
أَكُنْ جَهْلًا مَقَالَتِي فَعَذْلَتُنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد تزار عند الامي

٢٠٤ شخص مضر وريعة وإياد وأنار أولاد تزار إلى أرض نجران .
فبينما هم يسرون إذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال: البعير الذي رعى
هذا أعور . فقال ربيعة: وهو أزور . قال إياد: وهو أتر . وقال أنار:
وهو شرو . فلم يسروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم
عن البعير . فقال مضر: أهو أعور . قال: نعم . قال ربيعة: أهو أزور .
قال: نعم . قال إياد: أهو أتر . قال: نعم . قال أنار: أهو شرو .
قال: نعم . فقال: هذه والله صفات بعيري ذلوني عليه . فحللوا أنهم ما
راوه . فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته .
فساروا حتى فرّبوا نجران فنزلوا بالأنقى الجرهمي . فنادى صاب
البعير: هؤلاء القوم وصفوا لي بعيراً بصفته ثم أنكروه . فقال
الجرهمي: كيف وصفتوه ولم تروه . فقال مضر: رأيته يرعى جانباً
ويدع جانباً فعلمت أنه أعور . وقال ربيعة: رأيته إحدى يديه
ثابتة الأثر والأخرى قاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة
وطنه لأزوراره . وقال إياد: عرفت بتره بإجماع بتره ولو كان
ذئلاً لتفرق . وقال أنار: إنما عرفت أنه شرو لأنّه كان
يرعى في المكان الملتف نبتة ثم يجوز إلى مكان أرق منه وأخبت .
فقال الأنقى: ليسوا بأصحاب بعيرك . ثم سألهم من هم فأخبروه .
فرحب وأضاههم وبأنع في إكرامهم (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ. قَالَ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ: قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدِثِ الْخُشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْقَفْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُثْمَانَ وَعُورَةُ يُونُسَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَذْرِ
فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي.
فَقَالَ: عَلَى قَدْرِي. فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: هَلَّا احْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ. قَالَ: لَمْ يَكْ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ. قَالَ لَهُ دَاوُدُ:
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَلْقَانِدَ فَأَنْشَدْتُهُ:
اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةً وَجْهِهِ قَبْضُ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَأْسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنْ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةَ النَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَتَلَكَّا عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ أَلْبِ الْإِدِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي يُقَيِّ بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوُّ الْحَمِيدِ مَا جَدُّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 قَفَّضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لَابَنُ عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْفَقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبِلُ
 هُمْ يُنْعَوْنَ الْحَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنْزِلِ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَاوَا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَوْا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَقَاءُ لَوْ أَنَّ فَعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَاجْمَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْقُضْلُ
 ابْنُ الرَّبِيعِ وَزَيْدُ بْنُ زَيْدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيْفَانِ سَمِيدَاوَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَتَشِدُّنِي . فَأَتَشِدُّهُ قَصِيدَةً
 التَّمْرِ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرَامَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَسَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يُرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلَّمَةُ يَوْمِ الْوَعَى وَالْمُنَايَا صَابَهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَمَى بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطِيبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكَمَى الْمُتَّصِرُ النَّمْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ قَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي .
 وَنَظَرَ إِلَيَّ سَنَظَقًا فَقَالَ :

إِذَا أَعْتَصَصَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُذَّ بِفَنَائِهِ وَأَجْعَلْ إِلَيْهِ تَنَلْ عُرْقًا وَلَمْ تَذَلْ سُؤَالَ
 فَنَاءٍ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصُرَتْ الْقَوْلُ لَنْدَ أَطَلَتْ الْمَعْنَى . وَأَمَرَنِي بِصَلَاةٍ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ فَقَصَدَهُ عَجْرُدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَنْحَى أَمْرُهُ زَيْنُهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ الْأَقْدَمُ وَالْأَخْدَثُ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَذْمَثِ
 طَبِيعَةً مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِسُتَحْدَثِ
 وَرَثُهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيِّبَ ثَنَاءِ الْوَارِثِ الْوَارِثِ
 فَوَصَلَهُ يَنْحَى بِصَلَاةٍ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
 ٢١١ - إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِّيُّ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُدْ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَعْقِلَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا
 ٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَّةٌ وَمَنْعَفٌ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا النَّزَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْعُ
 فَإِذَا نَكَرَتْ مِنْ أَمْرِيءِ أَعْرَافِهِ وَقَدِيمُهُ فَإَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ نَأْمِجِبُهُ الشَّمْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا نَحْمَدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ .
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ نِيْلُهُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَال : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمَكَائِلِهِ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخُرَازِيُّ يُمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافُ خُصَصَتْ بِهَا فَكُنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِرٌ
 أَلْسِنُ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالْفَسْرُ وَاسِعَةٌ وَأَوَجُهُ مُنْبَسِطٌ
 ٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُبَيْدٍ : لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ .
 فَظَاهِرُهَا لِلْعَبَلِ . وَبَسْطُهَا لِلْغِنَى . وَسَطُوتُهَا لِلْأَجَلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِيرِ :

أَصْبَحْتَ بَنَى ضَرَاةٍ وَتَحْمَلُ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَاْمُدْ إِلَيَّ يَدَا تَعَوِّدَ بَطْنَهَا بِذَلِكَ النَّوَالِ وَظَهَرُهَا النَّشِيلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِزَيْدِ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَىٰ فَسَوَّالُكُ بَايَعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَىٰ
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَىٰ نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِإِدْنِ لَيْسَ نَدَاهَا بِمُكَدِّرِ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرِ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعُ لَكَ الْحَسْبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحُ عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَىٰ عَلَيْكَ الْمُرُءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَرْضِيهِ الْإِنْسَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَأْبُ أَجْمَرَهُ الشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ مِدْحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوُلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِدْ عَنْهُمْ وَخَلِّمْهُمَا تَمَا احْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

٢١٧ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنْ أَبْنَىٰ عَمْرُو لَدَىٰ الْهَيْبَاءِ يَجْمَعُهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يُهْدَدْ لِعِظْمَةٍ وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَأْتِي يُسَامِعُهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَزْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةٌ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتُ أُمُورُ فَهَوَّ كَافِيهَا
٢١٨. قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضُهُمْ :

كُنْ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَابَ مِمَّا حَمَلَا وَنَشْرًا وَطَابَ الْوُودُ وَالْوَرَقُ
٢١٩. قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَّحُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مُوقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطَبًا عَلَى النَّبْرَانِ
٢٢٠. غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينُ :

تَعَشَّ عُثْرُ نُوحٍ فِي سُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَنْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالنَّجْمُ
٢٢١. وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعْ رُبَّ الْمَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْجَحْ
قَدِيمٌ وَأَخْرَ مِنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَعِي
٢٢٢. وَقَوْلُ آخَرٍ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفُ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَا لَسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتُهُ خَشِنَانِ
٢٢٣. مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحُلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
٢٢٤. قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالنِّعَامِ قَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ النِّعَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَذْرَةُ مَالٍ وَنَوَالُ النِّعَامِ قَطْرَةُ مَاءٍ
٢٢٦ قَالَ بَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكُكَ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ بِمُحَمَّدَةٍ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يَرْجِي مَنْ وَاقِعَ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَتَعَصَّرُ بِاللَّهِ قَالَهُ نَاصِرُهُ
٢٢٧ دَخَلَ النَّبَايَةُ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :
أَيْفَ أَخْرَجْتَ ذُو فَائِسٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَعُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَا تَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَّاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ
أَنْبَلُ مِنْ رَفْدِهِ . وَلِحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلَقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :
أَخْلَاقُ مُجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُتَوَجِّحٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي أَلْوَعَى ضَيْغَمٍ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا ذَبَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْخَلِّ بِالْمَطَرِ
فَقَهَّلَ وَجْهَهُ الثُّعْمَانُ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فَوْهُ دُرًّا وَيُكَمَّسَى

أَثَوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جَبَابُ أَطْوَأَهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرْدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا أَقْلَمْتُ دَحَ الْمُلُوكُ (أَلْفَ بَاءٍ لَا فِي الْحِجَاجِ الْبَلَوِي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ الْمَسْكِيَّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْمِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَدَرَ وَاشْتَدَّ يَقُولُ:

لَسْتُ بِكَفَى كَفَّهُ أَبْتَنِي أَلْنِي وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ أَلْنِي أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَحَبَّبَ بِهِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنِّي بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزِدْكَ حَاجَةً سِوَى أَتْنِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدُ: سَلْ حَاجَتَكَ. وَلِأَنَّهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
 أَسْرَفْتُ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَتَهَا. فَقَالَ خَالِدُ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَنْجِبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَصَحَّكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَّةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحِجَاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِحُرَّاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أُنْزِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بِعَدَمِكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ آمِنٌ بِرَيْدٍ
وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْبِ بِعَدَمِكَ عَوْدُ
وَمَا لِسِرِيرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ
فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُخِْبُ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّغْتَ الْحُجَّاجَ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّزِيْدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلشَّخَاءِ يَوْمًا أَتَرَكَهُ أَلْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ أَلَوْتَ (للإيني)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِي شِعْرُ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيَّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ الْأَنَظَرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ آيِي أَمْرُوهُ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:
يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْتِي وَأَشْتَمَكَ أَبَا
وَكَادِيحِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَاقَ الْحُمَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَجْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَهْلُ وَالتَّجَرُّ لَوْ ذَبَا
وَالْبَحْرُ فِي الْمَدِيحِ:

٢٣٣ لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَأَنْتَ أَرَى إِلَى الْجَدِّ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِضَاعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزَ خُلُقِ الْأَنَامِ لِحَبِّ كَاسٍ وَمِزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعَوْدٍ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِحِجْدٍ أَوْ لِحُودٍ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاةِ وَالنَّجْوَى

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ فُرَيْشَ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:
لَقَدْ عَلِمْتُ فُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ بِأَنَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِقَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا
٢٣٦ قَالَ السِّدِّيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَزْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ زِلْزَالٌ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبٍ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَايِ الْغَيْرِ وَالْعَيْشِ الرَّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمُعَالِي أَرَبُّ فَقَلَى كَاهِلَهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا لَا تَرَانِي لِدُعَاةٍ مِنْ حُجُبٍ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْأَزْدِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَقَرَأَ مِنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَحَبَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَانِي مِنْهَا بِلَبْسِ الْبُؤَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلِ قَسَوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي أَلْحَا وَبَلَّغَنِي أَلْحَا جَهَ مِنْهَا فَأَتَنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيرُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعْرِضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرِضُ لِلطَّبَامِ
وَلَسْتُ بِمَخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي بِجَوْلِ الْمَهْرِ نَحْتِي إِلَى الْذَارَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْوُوفُ بِمِحْظَةِ الْبَرَمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْهَرِّ
قَلَمٌ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ قَلَمٌ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقَرٍ
٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ :

وَالْإِلَافُ كُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبَاهِمَا إِذَا لَمْ تَرِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي أَلْوَمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْجِئَنَّ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَرْوُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلَوْا وَامَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

قَلَوْنَا مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّا أَسْعَى لِعَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْجَدُّ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا أُنْبَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأُنْبَةَ مَالِكٍ وَيَا أُنْبَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَاتَّبِعِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَنَدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَا لِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي أُمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنِ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنِ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلْفٍ الْعَجَلِي :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا يَا نَابِغَهُمْ قَدَمًا وَأَعْشَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقْتَعِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْتَحَاهُ لِأَذْرِكَ مُجْدَا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الانغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

سَيَّانٌ كَسَرَ رَغِيْفَهُ أَوْ كَسَرَ عَظْمَ مِنْ عِظَامِهِ
 فَارْفَقَ بِكَسْرِ رَغِيْفِهِ إِنِ كُنْتُ تَرَعَبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

حَانَ عَهْدِي عَمَّرُوا وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيَّتُ ذَنْبٍ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَعَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ يَمَّا يَضْلَعُ الْأَمْدَةُ الْقَاسِدَةُ
تَخَوَّفَ ثُخْمَةً أَضْيَانِهِ فَعَوَّدَهَا أَكْثَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاجِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمْرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ قَوْمُوا أَنْظُرُوا كَيْفَ نَجَاةُ النَّاسِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَيْفِ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِمِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَطَّافِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ.
فَكَانَ يُولِي الْأَعْمَالَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ نَكَامَلَ فِي الرَّقَاعَةِ يُولِي ثُمَّ يَغْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْأَيَّامِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَفَّحَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا قَظَنَ بِأَنَّنَا نَذُولُ لَهُ خَبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا قَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّبِيبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتُ جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :
 إِذَا صَوَّتَ أَلْهَ صُفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
 قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِطَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْفَزَالَ وَلَمْ يَقْتِهِ الْأَرْبُ
 ٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّخَوِيِّ :
 سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَابِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَةَ
 قُتِلَتْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةَ
 ٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ أَلُومٍ وَالْعَارِ
 قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْثَوْهَا بِاسْتَارِ
 ٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ ثُمَالَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِثَّةٍ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ :
 أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ أُمْلَاءَ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا
 عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ أُمْلَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ أُمْلَاءَ أَيْضَ صَافِيَا
 إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
 ٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْخَرُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ الْأَهِانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
 فَلِلدَّجَاجَةِ رَيْشٌ أَيْكِنَّا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى وَأَنْصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
 كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا الْحَارِثُ بْنُ كُلْدَةَ . قَالَ : أَعَرِي أَنْتَ .
 قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَمِيمِهِمَا . قَالَ : فَمَا صَنَاعَتُكَ . قَالَ : طَبِيبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ
 الْعَرَبُ بِالطَّبِيبِ مَعَ جَهْلِهَا وَضَعْفِ عُقُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا .
 فَقَالَ : ذَلِكَ أَجْدَرُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ يَهْدِيهِ الصِّفَّةُ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا
 يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عَوَجَهَا . وَيَسُوسُ أَسَدَانِهَا . وَيَبْدِلُ أَسْنَادَهَا . قَالَ
 الْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْمَدُهُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفْتَ الْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ
 إِلَى الْجَهْلِ . قَالَ الْحَارِثُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَسَمَ الْعُقُولَ بَيْنَ
 الْعِبَادِ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ الْأَيُّومَ نَصِيْبَهُمْ . فَفِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ
 جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : فَمَا الَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ .
 وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ الْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ . وَقُلُوبٌ
 جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيَمُرُّ الْكَلَامُ مِنْ
 أَقْوَاهِمُ مَرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الْوَرِّ . أَلَيْنَ مِنَ الْمَاءِ . وَأَعَذَبَ مِنَ الْهَوَاءِ .
 يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ . وَيَضْرِبُونَ الْأَهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يَرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا
 يُضَامُ . وَلَا يَرُوعُ إِذَا نَامَ . لَا يَقْرُونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ . مَا
 خَلَا الْمَلِكَ الْأَهْمَامَ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنَامِ . قَالَ كِسْرَى :
 اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ عَرِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عَلَمًا وَخُصَصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْخَلْقِ
 فِضْنَةً وَفَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِأَعْطَايِهِ وَصَلَّتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ (لَابِنْ عَدْرِيَّه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْأَلْفَاظِ

٢٥٦ قَدْ أَلْفَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :
وَأَرْقَسَ رَهْوفَ الشَّيْءِ مَهْفَافٍ
يُشْتَتُ شَمْلُ الْخُطْبِ وَهُوَ جَمْعُ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَعْنُو لَهُ مَلَائِكُهُمَا وَتَطِيعُ
حَمَى الْمَلِكِ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ
٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضْرٍ رَاكٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبُ الْخُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا
وَدَمْعَةٌ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمْسِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌ لَا مِسْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يَدِبُ دَيْبًا فِي الدُّجَى وَالْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَضْمٍ يَجِبُهُ
وَتُفَرِّى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَائِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تُخْفِرُ شَأْنَهُ
وَهِيَّاتُ يَدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ
٢٥٩ وَقِيلَ آيْضًا فِيهِ :

وَأَعْيَفَ مَذْبُوحٌ عَلَى سَدْرِ غَيْرِهِ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
رَأَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ
وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ صَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحُ إِسْرِهِ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجَوَفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ
٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغَزًا فِي دَوَاةٍ :

وَمَرْضَعَةٌ أَوْلَادَهَا بَدَدَ ذَنْبِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالَّذِي رَأَسَهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَأَنْفَزَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُتَنَلِّفُ الْأَسْمَاءِ يَمْدُلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُخَكِّمُ بِالْقِسْطِ بِالْأَرِيَاءِ أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأَى
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ يُغْنِي عَنِ التَّضَرُّعِ بِالْإِيمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفَصِّحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرَبٍ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنْ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّابِ

وَيُؤَكِّلُ أَحْيَانًا طَبِيعًا وَنَارَةً قَلِيًّا وَشَوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي الْأَهَبِ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَيْرٌ مِنِّي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ
٢٦٤ أَلْفَزَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُسَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهٍ لِكَيْهِ عَيْرٌ بَانِحٌ بِسِرٍّ وَذُو أَلْوَجِهَيْنِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارَ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
٢٦٥ قُلَعَ لِأَسَامَةَ بْنِ الْمُتَقِدِّ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْفَزًا :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْعِي وَيَسْمَعِي سَعْيِي مُجْتَهِدٌ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ لِلنَّظَرِيِّ أَفْتَرَفَا فُرْقَةً الْأَبَدِ
٢٦٦ أَلْفَزَ ابْنُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْخَصْكَهِيُّ فِي نَفْسِ الْمَوْتَى :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ لَيْسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يُحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرِهُ قُرْبَهُ وَيَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنَّ عَلَى رَغَمِ الْمُزُورِ يَرُودُ
٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهِ الدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْفَزًا فِي فُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارَ أَتَحُلُّ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالنَّمْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أَنْزَلْنَا فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولُ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلُ سَاعَةً
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا تُنَاثِ ثَمْنٌ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبُ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَتَوَقَّعُ عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أَنْزَلْنَا آخِرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَبَّرَنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ قَمَّةُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَزِيحُهُ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
وَقَدْ عَلَا صِيَّاحُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجَرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْحُجِيِّ وَفِي الدَّهَابِ

يَعْنِي لَمْ تَذُقِ النَّوْمَ طَعْمًا وَلَا ذَرَفْتَ لِدَمْعٍ ذِي الْأَسْكَابِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ قَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ فِي عِيدٍ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَبُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمِشِي بِالْأَرْجْلِ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضْبِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً نَرَاهُ تَسَاىَ فَوْقَ طُورِ السَّمَاءِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِصْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِحُرُومِينَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَدَيَّانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسَى كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ عَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُنْفِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَصَا وَلَيْسَ لَهُ تَبَعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرُ

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّغْظِ. كَمَا رَفَعَهُ
بِاللَّفْظِ. وَيُعَايِنُ فِي النَّظَرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَرَى التَّضَعَّ قَرْضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَأْزِمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَفْرَغَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوِهِ. أَثَبْتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَمْتَلَ.
وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَمْتَلَ (للهاملي)

٢٨٠ تَطَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَايِلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَجَبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (الشمرلي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَوْلَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْحَبْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُدَالُّ لَهُ الْمُشْتَرُّ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

جَاءَ الْمُشْتَرُّ وَالْأَفْرَاسُ يَمْدُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا انْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدُهُ وَمَرَّ يَحْتَفُفُ الْأَبْصَارُ وَالْأَنْظَرَا
فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الآلغاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا
لِصَّلَاتِي. وَأُعِدُّهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَتَقَوَّى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي تَسْعُ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنُنِي
الْعَمْرُ. وَالَّتِي عَلَيْهَا كِسَائِي. فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجَنِّبُنِي الْقُرَّ. وَتُذِنِي إِلَى مَا
بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعَلَاقَةُ أَدَوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
وَأَلْقِي بِهَا عَمُورَ الْكِلَابِ. وَتُثَوِّبُ عَنِ الرِّيحِ الطَّعَانَ. وَعَنِ السَّيْفِ
عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثَتُهَا عَنْ أَبِي وَسَأَوْرَثُهَا ابْنِي مِنْ بَعْدِي.
وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَى. فَبِهِتَ الْحُجَّاجُ
وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَحْلَفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَلَعَ
أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فَنَازُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ
شَانِعٌ. وَسِرُّهُ ذَانِعٌ. وَلَوْثُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِيٌّ
الْمُنْظَرِ. سَيِّئُ الْخَبَرِ. يَجُلُّ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِأَلْأَسَاسِ. قَبْرِ مُؤَلَّفِ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكَتَبَ : مَنْهُولٌ مَجْهُولٌ . وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مَذْرُوكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ : قَوْمٌ لَا
 أَنْتَبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْأَرْضِ . نَقِيزُ الْبَلِيَّةِ . أَنْفِصَالُ الْأَتِّصَالِ .
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ . شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ . فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ . سَفَرُ الْبَدَنِ .
 فَقْدَانُ الْأَخْوَانِ . وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ : شَرٌّ يُتَّقَى . مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ . مَوْتُ الْحَيَاةِ . صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكَتَبَ : خَادِمُ الشَّهَوَاتِ . هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . شَرٌّ مَحْبُوبٌ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكَتَبَ : تَصَوُّيرِي طَبِيعِي . زَهْرَةٌ تَذْبُلُ . وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكَتَبَ : عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ . عِلَّةُ الْعَوَرَاتِ . وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ . وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكَتَبَ : عَقِيبُ الشَّمْسِ . سِرَاجٌ لَيْلِي . وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ :
 مَلْعَبَةُ الْبُخْتِ . مَطْلُوبُ السِّنِينَ . أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ . وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكَتَبَ : قَاعِدَةُ الْفَلَكَ . (عَلَى زَعَمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ .
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ . وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكَتَبَ : خَادِمُ الْغِذَاءِ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ :

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ : وَهَذَا فَلَانُ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخَطَابِ . وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمُعَانِي . فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ . وَمَنْحُهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ . فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ : فَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :
 سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
 تَشْرِقٍ فِي دَارَاتِهِ تُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَفْرُوسُ
 كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :
 كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّاتًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّلَافِيرِ
 وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشَرِهِ يَلُوحُ أَنَا كَأَنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمُنَاقِيرِ
 ٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الْإِمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدِ
 سِوَى الْفُسْتُقِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيَّنَتْ بِتَجَرَّدِ
 غَالَاةُ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فَضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَابُ زَرْجَدِ
 ٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَأْنَا الْجُلْنَارُ فِي الْفُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
 كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْعِيقِ بِهِ قَدْ مَاتَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ
 ٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْبَدَى شُعَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسَمِّكُ
 فَلَمْ تَزْ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنْ أَنْتَوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ
 ٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارٍ وَيَأْشِرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأَقْحَوَانٍ وَوَرْدٍ وَخِزَامٍ وَزَجِسٍ وَبَهَارٍ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَّا تَرَى الْأَرْضَ فَدَاعَطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسَّمَاءُ بُكَاءٍ فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّبِيعُ انْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَدَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُثْلَهَا لَمْ تَخْضِكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجَلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَهُ السَّحَابُ الْجَاوِدُ
خَضَمَتْ نَوَائِرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيْتٌ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعُ وَفْدَتِهِ فَنَعْمَ الْوَاوِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبَرُ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوْرَتُهُ فُهَنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ نَارَةً وَيُقْطَبُ
وَكَأَنَّ خُضْرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسِينُ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقَا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ نَبَهَنِي بَعْدَ الْهُدُودِ بِهَا قَرَعُ النُّوَاقِسِ
كَأَنَّ سُوسَهَا فِي كُلِّ شَارِفَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطُّوَائِسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلْ :

حَازَ السَّفَرُ جَلْ لَذَاتِ الْوَرَى فَقَدَا عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالْتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَأَلَرَّاحٍ طَعْمَا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَائِحَةً وَالتَّيْرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لَا تَكُلِ وَمَصِّ لُبٍّ وَرَشْفٍ
كَمَلْتُ فِي اسْتَوَانِكَا وَاسْتَقَامَتِ بِاعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفٍ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَنْبِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمَا وَغَرْبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِرَّاحِ أَعَادِيهَا وَكَأْسِ أَدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ وَلَهُوَ لِنَفْسِي دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرِّيعُ بِإِلَادِهَا فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
٣٠١ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَا عَائِبَ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لُغِيهَا شُغْلٌ عَنِ الْغِيَةِ لِلنَّاسِ

وَتَسْفَلُ أُلْهَامٌ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبُ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبُ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقِيلٌ مُدْبِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَجَرِ وَنَوْعٌ وَرَدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ

٣٠٣ قَالَ إِنْ حَاقَ ابْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُضْلِجُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالْمَرْءُ تُنْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ :

وَزَائِرَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبِ وَتَنْزِلُ بِالْقَتَى مِنْ غَيْرِ حَبِ
وَمَا أَحَدٌ حُبُّ الْقُرْبِ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرَمِهِ
وَتَنْعُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْغِصَهُ بِمَأْكَلِهِ وَشَرِبِهِ
أَنْتَ لِيْ زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَا بِهِ

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَانِ :

الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَانِ يَخْتَرِقُ وَالِدَمْعُ كَالدَّرِّ فِي الْحَدَيْنِ بَسَاتِقُ
وَأَنْ قَاضٍ مَا دُمِعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَلْعُودُ يَنْطُرُ مَاءَ وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبيرى و معاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَأِلَى جَانِبِهَا أَرْضُ مُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . قَدْ خَلَّ عَيْدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَيْدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَالْأَكَاثِرِ وَالْكَشِيرِ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَدًا . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تَوْنُكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ نَزِيرٌ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَ . وَاللَّهِ نَا
بِأَسْرَها هِنَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَأْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَاضْتَوْسًا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
رَأْيِ هَذَا الْجَلِّ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الرُّبَيْرَ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْتَمَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ إِشْيَءَ مِنْ هَذِهِ الْأَذْوَاءِ . فِدَاوِهِ يَمِثْلُ
هَذَا الدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَلِإِعْظَمِ قَدْرِهِ
يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَتَقُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَتُجِبُهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي سُبْحِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخُضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَكَتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجَمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَجَّتْهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِمَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْ كَمَا . فَقَالَ : اللَّهُ دَرَكُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كَتَمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِبَاتِ
خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ الْمُنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعَلَمْتَنِي
بِخَبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمٍ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرَمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِيلُ
نَبْنِي كَمَا كَأَنْتَ أَوَّلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصْفَحُ الرَّعَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا
(للأبشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آداهُ لعجز من فقره رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً فَاصْدَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ مُخْصَصًا أَعْرَابِيًّا
جَذَبَنِي بَنُو بِي وَقَالَ : الزَّمِنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَنَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الْدَّامِسِ . وَكَأَنَّ لَيْلَةً قَرَّةً . فَمَتَّبَعْتُهُ فَسَارَ وَآوَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤْتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيَمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ تُعْجِزُ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
يُوقُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَّا هِيَ أَنَا فِي عُلَمَاءِ قَدَرُ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَالِيلَا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُرْقِفُكَ سِرِّبْنَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاشْكَفُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَوَقَفْنَا جِدًّا وَمَلَأْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاتُ الْعِيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَذَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَالِيلَا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَةَ. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
أَحْسَنَ رَدٍّ. وَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأُطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَطُطْ
إِلَى أَنْ يَصْغُرُوا مِنْ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأُطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَالِيهَا الْمَاءُ يَغْلِي.
فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنَّ فِيهَا
شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا صَغُرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَطْعُوعَةٌ لَا أَخُ
لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عَمْرٍ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرٌ مَقَاتِلَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَلَّةُ يَا ذَا ظَلَمَكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهُ ظَلَمَنَا إِنَّ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعَيْتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا يُبِينُ وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْتَسَعِ لَهُ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ بِنَا يَفُوتُهُ وَعِيَالُهُ أَوْ
 صِبْيَتُهُ . فَقَالَ لَهَا عَمْرٌ : وَمِنْ أَيْنَ يَتَلَمَّ عَمْرُ بِحَالِكِ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكِ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهُ إِنَّ الرَّاعِي الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَعَمِلَ ذَلِكَ التَّخَصُّصَ الْقَبِيرَ الْحَالِ الضَّيْقُ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَمِلَ عَمْرٌ السُّؤَالَ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْقَبِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عَمْرٌ : صَدَفَتْ يَا خَلَّةُ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةِ وَالسَّاعَةِ آتِيكِ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَشَبَّنا وَالْكَلابُ تَشَبَّنا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَا بَنِي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمْرَانِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَرُفَيْنَا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَظْلٍ وَنَيْفٍ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلْ تَلِي كَتَفِي فَمَهِّئْهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْلُ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةُ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْقَلَ أَلْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدْ أَنهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لَحِيَّتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَشَيْنَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْجَمَلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي وَاقِي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكِيسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جَرَائِمِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّامَ هَذِهِ
الْعُجُوزُ تُعَلِّلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ ثَبَلُ أَنْ تَضَجَّرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْمُثُ لَمْثُ الثَّوْرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كِفِّهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدَكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِيِّ . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يُخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لَحِيَّتِهِ وَقَدْ كُنَّ
بِهَا الْأَرْضُ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اسْتَعْلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ عَلَيْهِ . فَجَعَلَ يُجْرِكُ السَّمْنَ
بُؤُودَ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أُنْجِعَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارُخُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَفْتَحُهُ بِفَمِهِ لِيَرِدَهُ
 وَيَلْقِمَ الصِّغَارَ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَ- أَذْكُرُ لَهُ حَالَكِ . فَأَثْبَتَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَجِدَنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي جِئْتُ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاسْتَقَفُوا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبِئْنَا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَقَفَرَهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للالليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حُكِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَأَمَتَلَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَادَّعَنَ لِأَمْرِ الْجُمْهُورِ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُحُمُ وَقَانِعَ أَيَّامِ صِفَيْنَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكُرْبِيَّةِ مِنَ الْمُعْرِوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كُفُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضَ . وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَسَّتْ بِالزَّرْقَاءِ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتُمُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . لَسْتُمْهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ يَقُولُ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا الْمَذْبُورَ لِأَقْبَلِ . وَالْمَسَالِمَ لِحَارِبِ . وَالتَّهَارُ لَكَرٍّ . وَالْمُتَزَلُّزُ لَأَسْتَمِرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بَلَسَ أَشْرُتُمْ بِهِ وَفُجِعًا لِمَا قَاتِمُ . أَيْخُسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنَّنِي بَعْدَ مَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلُ أَمْرَأَةٍ قَدْ وَفَّتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلنِّيمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَهَذَا هَاطَاءُ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَعَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ ضَجْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : رَحِبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مُقَدِّمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَلَةُ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرِكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَتَمَيِّزُ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَتَلَمَّ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتَ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّنُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَمُحَرِّضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ . وَالذَّهْرُ دُوْغَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرَسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرَنَا . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَلَّةً فَاصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّامَّ شَمْلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْعِصْقُ وَالْمُبْطِلُ . أَفَن كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْإِزَالُ الْإِزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ الْأَسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ فَبِذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَمُحَرِّضُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحَسَنَ اللَّهُ إِشَارَتَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلَكَ مَنْ يُبَايِعُ بَغِيْرَ وَيَسِرُّ جَلِيْسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَكِ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَنِي قَوْلُكَ
وَأَنَّى لِي بِتَصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَوْكُمُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَعَجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تُرَضُّ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
حَاجَةً . فَقَالَ : فَمَا أَشَارَ عَلِيٌّ بِغَضٍ مِنْ عِرْفِكَ بِقَتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنْ الْمُسِيرِ . وَلَوْ أَعْطَتْهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ
إِلَيْكَ وَنَزْعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَنْ أَسَاءٍ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كَسُوءَ
وَدَرَاهِمٍ وَأَفْطَمَهَا ضَيْعَةً تُغْلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَائِي الْكُرُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للابشيهي)

رجلان كريمان حصلا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خَزِيمَةُ بْنُ إِسْحَرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى احْتَجَّ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَادِّيهِمْ وَيَفْضَلُ عَلَيْهِمْ . فَأَسْأَدَهُ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ مَلُوءَةٌ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ أَعْمَمٍ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا أَعْمَاهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَوَتَّى بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَاتِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضُ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ حَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ إِسْحَرٍ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرَمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ. فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ: أَمَّا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ يَشْرِ مُوَاسِيًا أَوْ مُكَافِيًا. فَقَالُوا لَهُ:
لَا. فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرَمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ نُبِي الْفَيَّاضَ لِنِ يَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ. ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ الدَّلِيلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِالسَّراجِ دَأْبَتِهِ. فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ مِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَعْمَلُ لِمَالٍ. وَكَانَ الدَّلِيلُ قَدْ أَنْصَفَ. فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَنَزَلَ عَنْ دَأْبَتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لَهُ لِمِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ. فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ ذَكَرَ صَوْتُهُ: خُذْ هَذَا أَصْلَحْ بِهِ شَأْنَكَ. فَتَنَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
قِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ
فِدَاكَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي. فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَفْهِيهِ إِلَّا تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَتَرَاتِ الْكُرَمِ. فَقَالَ خُرَيْمَةُ: زِدْنِي إِضَاحًا. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: لَا وَاللَّهِ. وَأَنْصَرَفَ. فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى امْرَأَتِهِ وَقَالَ
لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَقُومِي أَسْرِعِي. فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّراجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ. فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْبَسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خُشْنَةَ الدَّنَانِيرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ امْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا. فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كُنَّا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ نَاخَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرِي بِالْأَمْرِ فَأُكْتَمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلْسَفَرِ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُزَيْمَةَ بْنِ يَشْرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِالْأَرْوَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُزَيْمَةُ
 وَسَلَّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُزَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُزَيْمَةُ : ضُنْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنْهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَدَايَةِ مِنَ الدَّلِيلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَا فَيَنَاهُ عَلَى مَرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُزَيْمَةَ الْوِلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوِلَايَةِ فَمَقَّبَلَ الْأَرْضَ خُزَيْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِمُلَاقَاةِ خُزَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَغْيَانِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَنَزَلَ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤَخَذَ عِكْرَمَةُ وَبُجَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَالَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا إِلَيَّ
 دِرْهَمٌ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِجَبْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ تَمِّنُ بِصُونِ مَالِهِ
 بِعِرْضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتَ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ . فَكَبَّلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرْبَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَ بِهِ فَلَمَّغَ
 أَمْرًا أَنَّهُ ضَرَّهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَأَعْتَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةً
 لَهَا ذَاتَ عَمَلٍ وَقَاتَ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَفُوهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمِثْلِ مَا أَتَاكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْجُنْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسَوْءَ تَاهُ جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْ قَتَلَهُ بِدَابَّتِهِ فَاسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وَجْهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْجُنْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْهَيَّاضَ فِي قَاعِ الْجُنْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوَجْهَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمُهُ ذَلِكَ فَكَغَسَ رَأْسَهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةُ وَأَكْبَعَ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتُ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : كَرِيمٌ فِعَالُكَ

وَسُوهُ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَالَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
أَمَرَ بِقُبُورِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رَجُلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ :
مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرَمَةُ : أَقْسَمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ وَارَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلَمْ يُكِنِّهِ مِنْ ذَلِكَ .
ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةَ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَبِي وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسَهُ فَتَوَلَّى
خِدْمَةَ عِكْرَمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحُجُبَ وَأَخْبَرَهُ
بِقُدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِی الْجَزِيرَةَ يَتَقَدَّمُ
عَلَيْنَا بَغِيرَ آثَرٍ نَامِعٍ قُرْبِ الْهَدْيِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَحَا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
أَفَدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِجَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرِكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
قَالَ : عِكْرَمَةُ الْقَلْبَاضُ . فَاذْنِ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَأَمَهُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
فَرَحَّبَ بِهِ وَأَذْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرَمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالَا
عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخَارُهُ فِي رَقْعَةٍ .
فَكَتَبَهَا فَقَضِيَتْ عَلَى أَيْمٍ وَجْهِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَصَافَ
لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْخُفِّ وَالظُّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمَنِيَّةَ

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خُرَيْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبَقْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَنَجَّجَهُ. فَاحْتَلَّ يَزِيدُ بِجُسْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السَّجَّانَ وَأَسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أُلُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى أُلُوَيْدٍ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ أُلُوَيْدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجْرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَجْبَاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَجِرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَعَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظَلَمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا بِمِثْلِ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي خَفِيِّي لِمَفْعَلٍ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أُلُوَيْدُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ يَزِيدُ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَبَّعَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَهُ هَذَا إِلَى قَيْدِهِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَايَهَا جَمِيعًا يَنْدَلِينَ وَحَمَاهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا لَللَّهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأْ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَبَّأَ دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاغَيْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُخَجِّجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْنُ بِمُتَحَاجِّجِينَ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبَلْنَا عُذْرَكَ وَعَدْنَا ظَلَمَ الْحُجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَخْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّ عُمَاهُ إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكُتِبَ كِتَابًا لِلْحُجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمُرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبَشِيهِ)

دفور كريمة واحسانه الى من قتل اياه

٣١١ حَكِي أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّقَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمَ مَجْلِسِي قَدَاتِ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ:
يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الدُّوِّ . فَقَالَ سَمِعَا
وَطَاعَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحِيرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصُّحُرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تَرِيدُ الْحِيرَةَ . فَتَحَيْتُ أَنَّهَا تَرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَتَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْتَفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَظَنَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ قَدْ خَلَّتْ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثَبَّلًا
تَلَى الرَّحْبَةَ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَالتَّمَتَ قَرَأَنِي فَقَالَ لِي : مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ رَجُلٌ خَافُ نَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَعِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلَى حَرَمَهُ وَكُنْتُ عَنْدهُ فِي
كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَزْكُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَتَضَيُّ وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظَّهِيرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَرَأَيْكَ تَذِمُّنَ الرُّكُوبِ كُلِّ يَوْمٍ نَهْيُ مِ
ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ تَدَقَّلَ أَبِي
ظُلَمًا قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحِيرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
وَأُذْرِكَ مِنْهُ ثَارِي قَالَ : فَلَمَّا تَمَيَّعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَدَّرْتُ
تَعْبِي وَفُتُّتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ الْقَدَرَ سَاقِنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أُسَيْمٍ وَأَنَسٍ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
يَلْزِمَنِي أَنْ أَذْلِكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
الْخَطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
أَبِيكَ فَخُذْ بِدَارِكَ . فَبَسَمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْحَكَ الْإِخْفَاءُ رَالِبُغْدُ عَنْ
مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَكَئِنِّي أَقُولُ لَكَ
الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْتَهَتْ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفَرُ دِمِيَّ وَكَئِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ
عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للالتيدي)

بود . عن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
مُدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّهَيَّأْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعَرِّفَنِي .
فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ دَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
 قَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَّاهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
 أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَالِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَيِّئِ
 فَلَمَّا قَرَّاهَا مَعْنٌ قَالَ لِحَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
 وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كُتِبَ . فَأَنشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
 بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
 جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَالْتَمَتُهُ الْحَشْبَةُ
 فَتَمَّ لِيَنْظُرَ مَا أَلَّهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
 وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فَالْتَمَتَهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
 رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْأَعْطَاءَ لَزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
 أَنْ مَعْنًا يَرْجِعُهُ عَقْلَهُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَوَرَّبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَالْتَمَتُهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
 يُخْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْحَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
 سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَآخِرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
 فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشَّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَعَاثَبَنِي عَلَى شُرُوبِي الْخَمْرِ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارَانَ الْبَنَتَيْنِ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَا ضَنْعَنَ .
فَقُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زَهْهَةٍ لَهُمَا . فَسُيَّيَ بِمَا وَبَى
إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَانِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
ثَلَاثِينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَنُكَ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَسَجَنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَعْدِيًا عَلَيَّ سَاعَةٌ . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَحَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شِدْبَةً بِالْقَبْرِ فَيَضْرِبَنِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَبْسَنِي جِلْدَهُ لَيْسَ كَالضَّرْبِ . وَدَقَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِالْتَرِّ وَبِالْبَقِّ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرْجِحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطْلُبِي لِي أُجْرَةً عَلَيْهَا
فَحَمُّ وَكُنْدَرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُّ . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَطْلَمَ
الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْقَمْرِ . فَاسْتَرَحْتُ مِنْ آذَاهُ إِلَى التَّرِّ
فَأَلَصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَاتَانِ مُقَابِلَتَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَامِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا قَدَحَاتَيْنِ مِنَ الثُّنْبِ الَّذِي

خَرَجْنَا مِنْهُ . فَكَفْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْجَنَسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أَرَايَ النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارُ الْهَوَانِ وَشَرَّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْخُسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَاءِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلٌ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِيُّ وَأَخْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْخَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَمَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَغْتِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الَاغَانِي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَتَمَدَّمُ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَايَهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٌ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَظَنَّ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُتَنَصِّفٍ يَهْدِي لَهُ الرِّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَهُ عَدَا عَائِلًا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدُ
 وَابْتَرَّتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَقَرَّحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَيْدُ
 هَذَا أَذَانُ الْعَصْرِ فَانْصَرِي وَأَحْضِرِي الْحَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُفَضَّ الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْآخِذُ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْآخِذُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصُومُ . فَقَالَتْ : الْوَأَيْفُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . وَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ يَدَيْهِ فَاجْلِسْهُ مَعَهَا جُلُوسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يُلَوِّكُ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَاخْفِظِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْظَفُهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صَبِيَّتَيْهَا إِلَيْهَا . وَظَامَ
 الْعَبَّاسُ بِظَالِمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُوغِرَ لَهَا
 صَبِيغَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لأبن عبد ربّه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْوَادِ الْكِرَامِ
 فَتَزَلَّ مِنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ السَّامِ إِلَى الْحِجَّازِ . فَطَابَ مِنْ غِلْمَانِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَمُجِدُوا . فَقَالَ لَوَكَيْلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَأَعْلَاكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبَاتُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَاتِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْيٍ لِهَمْ
 دَنَا أَوْ أَنْ أَرْبِيَهُمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةً تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فخذوه . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكَلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَنَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْصِبُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْتَ لَوْ مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَأَنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَّافَأَتُكَ وَبِرُّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَرُوقًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ أَنْ أَخْذُرَهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . ذَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَنُهَرُ الْيَسِيرَ
وَأَهْجَعُ الْكَثْرَ لِلَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَدَّخَرْتَ لِنَيْسِكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :
أَدَّخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَه حَاتِمٌ ضُحًى حَيْثُ قَالَ :

وَأَدَّأَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكُلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا نَعِيجًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بُولُكُ وَهُمْ جِياعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخِزْبَةُ حَتَّى
 أَكْثُرْتَ فِيهَا مِمَّا لَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . إِلَهَ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوَثِّرُ فِي الْخِيسَةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَخْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَخْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَذَنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّا كُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلْغِ
 شَعْرَكُمْ . وَمَا لَوْ : إِنَّ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَكَافَأَةٍ لِفِعْلٍ
 قَدِيمٍ . قَالَ : أَيْسَرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَا بِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفَضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْهُ نَحْوَ مَنْ يَسْتَوْثِيهِ . وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالَّ مَبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَرُكَّ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعُجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : ائْتِلُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتْبَعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالَ عَظِيمٍ كَرِيمٍ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِيَنْ كَانَ ذَا فِئْلُهُ بِأَنْ يَسَّ تَرِقَ رَقَابَ الْإِنْدَةِ
 وَقَالَتْ الْعُجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَّاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرَ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا أَلْحَالِ رَثًّا
 أَلْهِيَةً. مُنْعَمٌ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيْلًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ التَّزَهُّدَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَنَعِمَهُ اشْرَطَةً
 أَزْدِرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَتَزَيَّ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُكَ مِنْ شَرِّكَ. فَتَبَاهَهُمْ عَنْهُ وَأَبَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْنِيَ
 إِلَيَّ بِسْمَتِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرَفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَسْأَلُ:
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَتَزَلُّ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَيَمْنَعُنِي الْحُجَابُ وَالْأَلِيلُ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالرِّجَالُ ضُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْأَلُوبِ كَأَنَّهُمْ ذُنَابُ جِيَاعٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَلَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا وَأَصْرَفَ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
 وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ تَرَكَتْ وَرَأَيْتُ مَرِيعٌ وَهَضِيفُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسُ وَخَنْدِفُ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 تَخَطَّيْتُ أَغْنَاكَ الْمُلُوكُ وَرَحَلْتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتَ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَحَيْثُكَ أَتَيْتُ اخْتِيرْ مِنْكَ فَهَزْنِي بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ ضُفُوفُ
 ذَلَّاجَعَانٍ لِي نَحْوُ بَابِكَ عَوْدَةً فَهَلِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ نَحُوفُ
 فَاسْتَصْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدْرَاهِمِينَ وَثَوْبًا يَتَوْبَيْنِ . فَنُثِرَتْ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الثِّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحِيرَ الْأَعْرَابِيُّ وَأَخْطَطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا اخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُفِيكَ لِعَرَبٍ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا بَسِيَتْ لَهَا (للقليوبي)
الخارجي واعدتم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ قَلَّمَ
يَكْتَرِثُ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُتَعَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَاسَ
الْمُتَعَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَعَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَشَبِثَهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . قَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبْرِ اللَّهِ بِهِ صَدَقَ الدِّينَ . وَلَمْ يَشْعَثِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُغْرَسُ الْأَلْسِنَةُ وَتَصْدَعُ
الْأَفئِدَةُ . وَإِنَّمِ اللَّهُ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ وَأَنَاطَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الْخِزْنُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْعِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَتَشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمْنًا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَرِيٍّ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَجْهَةٍ وَسَيْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتٌ
وَأَكُنَّ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنَقَّتْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَتَعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَطْمَأْؤُوا تِلْكَ الْحُدُودَ وَصَوُّوْا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغَبْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوْا
قَالَ فَبِكَيْ الْمُعْتَصِمِ وَقَالَ: إِنَّ مِنَ الْيَأْسِ لَعَجْرًا. ثُمَّ قَالَ: كَادَ
وَاللَّهِ يَا تَيْمٍ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْمَذَلَّ وَقَدْ وَهَبْتَكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجزى على احسانه
٣١٨ حكى العباس حاجب المنصور قال: لما ملك العباس السفاح
البلاد من بني امية واستولى على الخلافة قطع آثار بني امية من
جميع البلاد. فبعد مدة قليلة تراجع المتعصبون لبني امية واثاروا ثمة
عظيمة في الشام. وكان ذلك بعد موت امير المؤمنين العباس السفاح
وتولية الخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور. فقام الأمويون على
العباسيين وقتلوا جميع من وقع منهم في أيديهم. وبلغني الخبر وأنا
ماش في شارع وماض لا بتاع شيئا أنهم طلبوني وأدركوني. فهربت
ودخلت دارا وجدت بابها مفتوحا فلقيت في ساحتها شيخا مهيأ جالسا
فقال: من الرجل. فقلت: خائف على دمه وقد أدركه الطلب. فقال:

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ . وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي : قُمْ اسْلُخْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا . فَلَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَانِي
 بَيْنَهُنَّ . فَمَا لَيْتُ فَلَيْلًا أَنْ طَرِقَ بَابَ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَائِفِي . فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي : لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي . ثُمَّ زَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ : إِيَّاهُ
 لَمْ يَرْنِي . فَقَالُوا لَهُ : هُفَّتْ بَيْتُكَ وَمَالَ لَكُمْ : دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ . فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَفَتَشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا . فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحَ مِنْ تَائِبِي وَتُجَالَسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَقُتِلَ لَهُ يَوْمًا : يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَاقَ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَافَى . ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَانًا كَبِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي :
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ قَوْمَهُ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قِفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ .
 فَقُتِلَ لَهُ : إِنْ الرُّأْيَ رَأَيْتُكَ . فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 دَجِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ . فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَّعِيًا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَلَحِقْتُ بِأَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجَرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ. قُلْتُ لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدَا أُثْبِتِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فُقِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُفُوكَ. فَقُلْتُ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَلَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مَيِّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزْكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَكَثُرَتْ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامِي وَأَمَرْتُهُمْ فَقَرَشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرْوَحَ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامِي أَنْ يَجْأُوا
بِالْمَاءِ الْيَدِي وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجِئَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِينَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَبَحْتُ مِنَ السَّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيَتَفَكَّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ. فَقَالَ : مِنْ الشَّامِ. فَقُلْتُ : أَتَعْرِفُ فُلَانًا الْقُلَانِيَّ
فِي الشَّامِ. فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ مَنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفُهُ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ فَتَةِ الشَّامِ.
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. نَطَارَ عَلَيَّ مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقِّقَهُ فَقُمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَرْتُ
أَفْئَالَ يُسُودِهِ وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعِلْمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَتَى لِبْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَادُكَ أَنْ تَعْمَلَ لِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْتَ لَدُنْكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَغْدَادِ بِمَرَّحِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذُ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ نَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفَتْحَ فِي الشَّامِ وَأَنَّ ابْنِي أُمَيَّةَ عِنْدِي وَدَائِعَ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَظُنَّ أَنَّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصَوَّبُ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَسْكَنِ وَأَمُضْ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِعْنِي فَأَهْرُبَ وَإِنْ أَمَرَ بِتَقَاتِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُخَضَّرُنِي وَتَفْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أُرْتَضِي
مَعَكَ شَيْئًا (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَاهَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْحِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَى وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ الدَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَقْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَقَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُبَهُ أَمْ لَا بِإِمْلَاكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِهِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتَطْلُعُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِنُثْمَمَ بِإِكْرَامِهِ وَنُجَرِّبَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيَفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَقُولُ : أَبْذَهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمِ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهُ إِنَّمَا لَكَبَّرِي . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَبِي
وَأَتِي إِنْ الرَّجُلَ مُوجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرَبَ لِحُوفِهِ عَلَى غَنِيٍّ
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيَاكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ . فَأَحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهُ إِسْأَوِي مِمَّنْ دَارَ سَالِفٍ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَتْنِي بِهِ مُكْرَمًا مُوقَرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبِلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَمِنْ رَأَاهُ رَجَبَ بِهِ وَأَجَاسَهُ
بِحَبَابَتِهِ وَاعْتَرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَأْمُرُهُمْ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِمَحَاجِجِهِ (لِلتَّالِيَةِ)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي الْمَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ بِحَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَةً:
بِهَاءِ الدِّينِ وَالْذَّنْبَا وَنُورِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا وَمِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَقَضَاكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَابَتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَافٍ صَنَا حَلِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْبُصَيْرِ فَأَنشَدَهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَتَضَيَّتْ ذَنِّي
فَكَانَ بِفَسْخِي الْحَزْرُ فِيهَا وَبَاحُ نَاعِمٍ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقَ يَا قَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تَعُدْ فَتَحْلُمَ فَأَجْمَلَ حَاكَ أَضْغَاثًا (اللازدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَدِيَّةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ رَتْنُولٍ:
مَنْ لِّلْسُّوَالِ وَمَنْ لِّلْسُّوَالِ وَمَنْ لِّمَعَالِي وَمَنْ لِّلْخَطْبِ
وَمَنْ لِّلْحِمَاةِ وَمَنْ لِّلْكِمَاةِ إِذَا مَا الْكِمَاةُ جَبَّوْا لِلزَّكَبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَهَلَّتْ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُلُّهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ حَتَّى أَبِي مَنْصُورٍ الْحَالِيكَ . فَقَالَتْ : لَا جَزَائِكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيَدُّ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَعْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَأَنَّ نِهَآيَةَ فِي الْحَذَقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّقَادَرُ
فَحَضَرَ خَاطَمِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخُدَمِ فَأَعْجَبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قِفَّتِ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ . فَقَالَتْ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضَحْكِ الْكُؤُلِ . فَأَمَرَ بِإِحْصَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدُسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَظَنَرْتُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقِفْتُ ثُمَّ أَطْبَعْتُهُ وَرَفَعْتُ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَاتَعْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَّةُ تَنْتَقِي
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَرَبُّ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَسِرُّ بِرَّهْمٍ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزُوكَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَإِنْ
أَنَا لَمْ أَضْحَكَ أَضْفَعُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَعْمَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَا لِكَ لَا يَضَعُ إِلَّا شَيْءٌ لِّئِنْ خَفِيفٌ . وَانْتَفَتْ فَإِذَا اجْرَابَ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْجٌ .
إِنْ أَضْحَكْتُهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَسْرُ صَفْعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيْزٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْأَنفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا نُحْبٍ وَلَا فَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا زَكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَخْضَرْتُهَا حَتَّى أَفْعِدَ كُلَّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَفَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الصَّحْكِ . وَمَوْمَقُطٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هَيْهَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشَرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشَرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَبَاسَّكَ وَقَالَ : نَفْعٌ . يَا غُلَامُ خُذْ يَدِيهِ . ثُمَّ مَدَدْتُ
ظَهْرِي فَصَفَعْتُ بِالْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَصَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رَقَبَتِي
وَطَدَّتْ أَذُنَايَ وَانْقَدَحَ الشَّمَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحَّتْ : يَا سَيِّدِي تَهْنِئَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ تَهْنِئَتَكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صَنِمْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَذْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصِيْبِي رَبِّي
نِصفَهُ . فَصَحَّحْتُ حَتَّى اسْتَلَقِي وَأَسْتَفْرَهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلُ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَخْصُصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقٍ بَطْنَهُ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ نَأْتِي بِهِ . وَأَمْرٌ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصِيْبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيْبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعَ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِلٌّ وَشَكُوتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ
وَالْمُسْكَنَةُ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخُذُ
إِلَّا نِصفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعَ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْحِ مِنْ عِتَابِي لِلْخَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصِيْبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَأَمَّا يَدْعُكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (لأشراشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيِّ وَابْنِ
جَامِعٍ : بَاكُرُونِي غَدًا وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَدِيِّ : فَهَمْتُ فِي السَّحَرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضْمُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَغْلًا لِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُنِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَسْتَوْنَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَكُنْتُ فَرَكْبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَفْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسَنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَعَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمَوْصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِسَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَوُثِبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِي فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنْ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يُضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ وَصَدَقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمَوْصِلِي : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أُمْلَالًا وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ (الآغا نِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنْ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلَمَةَ الْيَحْيَدِيِّ : أَمِدْنَا بِخَيْلِ
الْيَحْيَدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَاهِهِمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ قُتَمَارَ . وَأَعْنَاهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ قَتَبَتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغِيرُ جُرْمٍ . تَقَدَّمَ حِينَ بَنَا الرِّاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ . وَمَا لِي غَيْرُ هَذَا الرِّاسِ رَأْسُ
ثَقِيلٍ وَظَرِيفٍ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّمَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظَّرَفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَزَمَّهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلٍ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ الْفِي جَمَلٍ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلُلٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَالْكُنْتُوَا	إِذْنٌ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ الْفِي سِجِلٌ	فَاضْمِنْ لَنَا أَنْ تَرْجُلُ
قَالَ وَقَدْ أَضَجَرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَزَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثَقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى نَحْسِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبدربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيبٍ مَا جَرَى إِسْنَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقْدِيمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْئَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ وَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَتَّبِعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْذَ أَحْضَلَهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَائِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَعَكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعْدَيْتُ
السَّكَنِيِّينَ وَالْجَلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَكَانَ مِنَ الْقَدْحِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذِكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرِفْ مُصَاحِبًا (لأبي الفرج)

حذاء أبي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري .
وكان له مداس صار له وهو يلبسه سبع سنين . وكان كلما تقطع
منه موضع جعل مكانه رُقعة إلى أن صار إلى غاية الثقل وصار الناس
يَضْرِبُونَ به المثل . فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج . فقال له
سِمَسَارُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تاجرٌ مِنْ حَابٍ وَمَعَهُ خِمْلُ
زجاجٍ مُذهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بِعَدْهِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الطَّيَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمَسَارٌ آخَرُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ تَصِيدِينَ تاجرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَابْجَلْهُ سَفَرَهُ يُمكنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَنْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَائِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسه

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسَ الْقَاضِي جَاءَ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحَمَ . فَلَمَّا
خَرَجَ فَتَنَسَّ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ وَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ
الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرِكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَفَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
فَارْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَ بِهِ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً
وَعَزَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَقَاصَ فِي
الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ قُطَاعٍ فِيهَا الْمَدَاسُ . فَلَمَّا
رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
فَنَظَرَ فَرَأَى سَاقَةً نَائِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
فَسَقَطَ عَلَى الرِّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَاقُرَّاهُ أَفْثَرَنِي هَذَا الْمَدَاسُ
الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ خُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَدْتِاحَ مِنْهُ .
فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَفَرَقُوا الْأَمْرَ
إِلَى الْحَاكِمِ فَارْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 أَمْوَالِهِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ خَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنْيَفِ الْحِثَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنْيَفِ فَقَاضَ وَضَجَرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّاحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلُحُ
 الْكَنْيَفِ فَقَرِمَ جَمَلَةٌ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًّا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُنْتَظٌّ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ قَاتِلُهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنََّّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَعَمُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَالْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَائِمِ الْجُرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَقَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مَبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامَنَا بَرِيٌّ مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَصَحَّحَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَّلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حَكِيٌّ أَنْ بَغَضَ الْحَسَدَةَ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُثَلَّةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَبَيَّنَ لِلدَّلِيلِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِتَقْلِيدِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُثَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يُهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُّونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَافَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَنَبَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَاصِدًا بِإِلَادِ
الْأَذْفُنْشِ . فَتَنَزَّلَ عَلَى مَدِينَةِ لَهُ عَظِيمَةٌ تَسْمَى وَبَذَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَبَرَحَ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرَادُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يُخْرَجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ فِيهِمْ مَا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَتَسَوَّاءُ مَعَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ
وَجَلْبَةٌ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَا جِلَّهُمْ وَاجْتَمَعَ قَسِيصُهُمْ
وَرُعْبَاهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمٍ مِنْ بَاقِيهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ بِح . فَسَرَبُوا وَارْتَوَوْا وَتَوَوَّأُوا عَلَى الْمُسَامِينِ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْبِيلَةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَانِشَ (الْمُرَّاكَشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَفِي عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَضَرِ الْمُشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْأَهْرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِصَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُيَّانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . يُجَلُّ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مُحْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْأَعْمَدِ
الْكُبَرَى شَمْعًا بَيَضًا أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْقِصَّةِ . وَحُفَّ أَغْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِيعِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْعَجْزِ الْعَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَحَلَّى الْمُتَخَلِّلونَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مُسْجِدٍ عَلَى مِثَالِهَا
فِي التَّائِقِ . حِيطَانُهُ كُلُّهُ رُخَامٌ . وَتَغْرِبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَمِثُّهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهُمَا كَأَنَّهُ الْمَرْأَةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَرَا حِمِ النَّاسِ عَلَى التَّبَرِّ وَأَنْكِبَاهِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْخِيهِمْ بِهِ وَبِالْكُسُوفَةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (الشريشي)

٣٣١ نُسَخَةُ مُبَايَعَةِ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوُرْدِيِّ نَظْمًا :

يَا سَمِ إِلَهَ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ سَنْقَرَا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلَقِ
 قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَأَقَمَهُ بِكُورَةِ الْفُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 اشْجَرٍ مُخْتَلَفٍ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغُرَاسِ
 وَذِرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذِّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِلَا زِنَاعِ
 وَذِرْعَيْهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَازَ الرُّوَيْحِي حَدُّهُ الْمَشْرِقِ وَأَنْزَلَ مَلِكٌ عَامِرُ بْنُ حَنْبَلٍ
 وَمِنْ شِمَالٍ مَلِكٌ أَوْلَادِ عَلِيٍّ ثُمَّ شِرَاءٌ قَاطِعًا رَعِيًّا
 بِنَاءً صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا وَلَا خِيَارَ لُهُمَا يُدَاخِلُهُ
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطِلُهُ دَرَاهِمُ جِدَّةٌ مُبَيَّضَةٌ
 ثِنْتَيْنِ مَبْلُغُهُ مِنْ فِضَّةٍ رَعَادَتِ الزِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةٌ
 فَبَضَاهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَأَمِيَهُ فَتَبَضَّ الْفِضَّةُ مِنْهُ وَجَرَى
 وَسَلَّمَ الْأَرْضُ إِلَى مَنْ اشْتَرَى وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعْلُقُ
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 وَأَتَمَّهَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ

رواه اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَازِعَ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِه قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ قُورْتٍ وَأَتَتْهَُا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيُ مَنْ وَاقَفَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خَبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُجْنِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتُهُ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ.
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تُومَرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ.
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُجَيْجٍ الْهَزْرَجِيُّ. فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَمَجِيعُ حَوَائِجِكَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَّةٌ. قَالَ : أَنْ تُخْرِجَ عَنْ هَذَا الْخَبَاءِ وَتَدْعِنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخَبَاءُ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَوْا بِأَنفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَاكِسَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا. فَاتَوْا أَلْبُوبِينَ الَّذِي عَلَى الْفُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
 فَضَرَبُوا عُنْتِي أَحَدَهُمْ وَفَرَّ بَأَتِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْفُصُورِ.
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدُ فَتَاتَلَوْهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الْبُحْرِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَابَوْهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَشَدُّوا وَجَعَلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مُرَاكِسَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بِأَمْرِهِ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَّخِذُ
الذِّكْرِ فِي الْحَبَاءِ مَثْوًى عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاكِ إِلَى حَبْرِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِنَفْسِهِ وَتَكْفِيهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدُفِنَ (لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكُمِيِّ)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةِ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَفْشَمَرَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقَ السَّمَاءِ . وَرَأَيْتُ الْأَيْلُ حَدْبَاءَ حَدَائِيرَ . وَصَنَّتِ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَآيَةً بِالْهَلَاكِ . قَوْلَ اللَّهِ إِنَّا أَنَا فِي لَيْلَةٍ صَنِيرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَنِيتُنَا جُرْعَاءُ بَدِ اللَّهُ وَعَدِي وَسَدَائَةٍ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّنِ وَقَتُّ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ قَوْلَ اللَّهِ مَسْكُونُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذَانِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّمُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَنَاقَوتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَبَرَ اللَّيْلِ ثُمَّ عَادَ . قَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فُلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَمَاعُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ عَمَلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجَبِيهِمْ فَقَدْ
أَسْبَمَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِثِّي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعْمَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ كَبْتَهُ بُدْيَةً
فَحَرَّ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِثِّي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَانْتَهَسَ فِي تَرْبِهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَاصْبِرْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنَ الْقَرْسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارِ أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَذْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبَلَا
بِرَى الْبَيْتِ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إِثَارَ ابْنِ مَامَةَ الْإِيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَتَبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ وَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْهَبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدَرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَرَوْا الشَّرْبَ وَدَارَ الْأَعْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَتَبِ رَأَى
الرَّجُلَ الَّذِي يَرَى نَجْدًا نَزَرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلْسَّاقِي : أَسْقِ
أَنَاكَ النَّمْرِي فَشَرِبَ النَّمْرِي حَصِيبَ كَتَبِ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
نَزَلُوا مِنَ الْعَدَمِ مِنْهُمْ الْآخِرَ فَتَصَافَتُوا بِقِيَّةِ مَائِهِمْ . فَظَنَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسَ . وَقَالَ كَتَبُ كَقَوْلِهِ أَمْسَ . وَارْتَحَلَ الْيَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَتَبُ
ارْحَلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّوْضِ وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَتَبُ إِيَّاكَ وَارِدُهُ . فَعَمَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسَوَامِنَهُ خِيَوَاعِلُهُ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعَمِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي أَفْضَلِ الرَّجُلِ صَاحِبَةِ عَلَى نَفْسِهِ (أَخْبَارُ الْعَرَبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ)

صنم سومنات

٣٣٥ مِنْ عَجَائِبِ مَدِينَةِ سُومَنَاتٍ هَيْكَلٌ فِيهِ صَنْمٌ كَانَ وَاقِفًا فِي
وَسَطِ أَلْيَتٍ . لَا يَبْقَا نِيَّةٌ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعُهُ وَلَا بِعِلَاقَةٍ مِنْ أَعْلَاهُ
تَمْسُكُهُ . وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ الْهِنْدِ مَنْ رَأَاهُ وَافَقًا فِي
الْهَوَاءِ تَجَبَّبَ . وَكَانَتِ الْهِنْدُ تَحْجُونَ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ الْأَدْيَا
كُلِّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ
قَرِيَةٍ . وَكَانَتْ سَدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ الْوُقُوفِ .
وَأَمَّا أَلْيَتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةٍ مِنَ السَّاجِ الْأَصْفَحِ
بِالرَّصَاصِ . وَكَانَتِ قُبَّةُ الصَّنَمِ مُظْلَمَةً وَضَوْأُهَا كَانَ مِنْ قَدَائِلِ الْجَوْهَرِ
الْقَائِقِ . وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٍ كُلُّهَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنْ الْأَلِيلِ حُرُكَتِ
فَتَصَوَّتَ الْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ . حُكِيَ أَنَّ
السُّلْطَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَأَى ذَلِكَ الصَّنَمَ اعْجَبَهُ
أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هَذَا الصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي
الْهَوَاءِ بِأَعِمَادٍ وَعِلَاقَةٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ عُلِقَ بِعِلَاقَةٍ وَأُخْفِيَتْ
الْعِلَاقَةُ عَنِ النَّظَرِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ الْقُبَّةَ مِنْ
حَجَرِ الْمَغْنَاطِيسِ وَالصَّنَمُ مِنَ الْحَدِيدِ . وَالصَّانِعُ بَالِغٌ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ
وَرَأَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ الْمَغْنَاطِيسِ مِنَ الْجَوَانِبِ . فَوَاقَفَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ
آخَرُونَ . فَلَمَّا رَفَعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ الْقُبَّةِ مَالَ الصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ الْجَوَانِبِ .
فَلَمَّا يَزَلُ يَرْفَعُ الْأَحْجَارَ وَالصَّنَمُ يُنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ (لِلْقَزويني)

الْبَلْبُ السَّاعِ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْجِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ أَنْفُسَكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي) أَلْشَدَّ شُكْرُ الْعُلُوِي:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُ بِهَا وَجَانِبِ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَأَنْدِلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ
قَالَ آخَرُ:

إِذَا رَحَلَ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِلَدَّتِهِ فَلَا غَرَابَ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَعَرَّبَ نَالَ الْإِزَّ أَجْمَعُهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا صَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلَ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذُلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَمِيعٌ فَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَثَلٍ بَلِيدٌ أَيْسَ يَتَأَمُّ مَا ظَلَمَها
فَنَفْسِكَ فَرِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَحَلَّ الدَّارَ تَعْنَى مَنْ بَنَاهَا
فَأَنْتَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : خَرَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَاهُوَ إِلَّا
زَفَرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَزْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
الْتِّلاَقَ . فَإِنَّمَا هُوَ سِرَّةٌ لِحَظَةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَنْبَاحٌ سَاعَةٍ وَأَنْتِيبُ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ إِلَّا جَمِيعًا وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ عَمَّةٌ
يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعٌ بِإِمْفٍ بِتَزْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرَّجْحَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : لَوْ قَاتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّحِيلِ أَلْمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً أَمَلْتُ حَتَّى . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
وَأَنْسُ الْفَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ السَّلَامِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَادَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمَكَانَةِ (لِلْمَقْدِسِي)
قَالَ أَبُو تَامٍ :

وَأَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النَّطْرُونِ :

بَاثَتْ تَصَدُّعَ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَنْغَرِبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ عَةِ لِلدَّقَامِ الْأَطْيَبُ
فَاجْتِبَاهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَابُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تُجَابُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَتَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَلْجِجَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيَذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ
مِنْ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النِّزَامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتْ الْقُلُوبُ
وَهَدَّتِ الْجِبَالُ . وَلَجَمَرُ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَمَنْ يَنَاعَنَ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودٌ جَمَّةٌ وَرُوقُ
قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَفْتِ وَمَا رَزَوْتَ وَإِنَّمَا
فَاجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا
كَأَبْدَرٍ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ
بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَيُزَقُّ
أَلْظَطُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُلْقِيُّ
ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخَفِّقُ
وِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ فَيُخَفِّقُ

سفرة ابن: جبر الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مُوسِمُ التِّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي التَّجَرِّ مِنْ حَمِيمِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةُ الْأَرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَفِرُّ فِيهَا لِمُسْلِمٍ قَرَارٌ .
مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَعَصُّ بِمَاطِنِهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعًا بِسَاكِنِيهَا .
أَسْوَأُهَا نَاقَةً حَفِيلَةً . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَاِ الْعَيْشِ كَفِيلَةً . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْإِسَانِ .
مُسْتَدَّةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالتَّجَرُّ يَعْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاها أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمُرَاكِبَ الْكِبَارَ تَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يُحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْطِهَا وَلَا فِي تَفْرِيقِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبَعْدِ مِنْهَا سِيرًا . فَتَرَاهَا مُنْطَقَةً مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَ لَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيَتَابَلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضَّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَزْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُ بِالتَّلْجِ شِتَاءً وَصِفَاءً
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا أُنْثَى
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرَّفَاقَةِ . مَشْهُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْقَوَاكِ وَاصْنِافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَائِينَ مُثْمَرَةٌ بِالتَّقَاحِ وَالشَّاءِ بَلُوطٍ وَالتَّنْدُقِ وَالْإِجَاصِ
وغيرها من القواكِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُ مِنْ ذَوِي الْيَمَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكُهَا . وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبِلْمَةِ . وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّ بَيْنَ مَدِينَتَيْنِ
وَبِلْمَةِ هَذِهِ مَسْكِنُ مُلْكِهِمْ ذَلِيلًا . وَهِيَ أَحْضَلُ مَدِينٍ صَقَلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسْبَنَةٌ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
كَثِيرُ الثَّمَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ رَأْسُ تَسْمُونَ بِحَاصَتِهِ . وَعَالِيَهُمْ يُلُوحُ
رَوْقٌ مُمْلَكْتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَسَعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْآخِرَةِ وَالرَّكَّابِ الْفَارِهِةِ .
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْخُصُورُ
الْمُسْتَدِيدُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنِيَّةُ وَلَا سِيَّامًا بِأَصْرَةٍ مُلْكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ .
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَيْضُ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَأَنَسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفُ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنَّهُمْ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْدِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَهْلِيهِ
الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ
وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَعْتَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخُرُصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى أَنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا اجْتَارَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِسْكَاحِهِ وَأَدَّرَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الَّتِي تَحْدُثُ بِهِ أَنَّهُ يَتَرَأَّى وَبَشَرٌ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ : أَخْبَدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارٌ رَنَعَةٌ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ . فَكَانَ زُرُوكًا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةٌ
أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِمَضَانِ رَكِبْنَا فِي زُرُوقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةٍ بَلْرَمَةٍ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِمَحْتِ بُبْصَرِهِ
رَأَى الْعَيْنَ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزُّورَقَ
أَغْنَاءَ تَرْجِيَةٍ . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقَرَى مُتَّصِلَةً وَحُصُونٍ
وَبِمَا قَلَّ فِي قُنَى الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تُخْرِجُ مِنْهَا
النَّارَ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَ ذَاتَ
الْسُّنَنِ يَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيَّةٌ بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرَبَّمَا قُذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَنُتْقِيَ بِهِ إِلَى
الْمَوءِ . بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَنْعِيهِ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْمُسْتَمَوَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تُخْرِجُ مِنْهُ كَأَنَّ سَلِيلَ
الْعَرِمِ . فَلَا تَرَى شَيْءَ إِلَّا أَرْقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ نَيْمِهِ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَسَى مَدِينَةَ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةَ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخَضْبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِي . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرُهَا . مَرْتَبَةُ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا فُتَّةٌ جَبَلٌ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَاعَةٌ لَمْ
يُرَ أَمْنٌ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِلسُّطُولِ يُجَاهِمُ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُهَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحِثْنَا مَدِينَةَ ثُرْمَةَ ضُخْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعَشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَيْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُرُقٍ ثَانٍ أَكْثَرِنَاهُ لِيَكُونَ الْبُحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثُرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ رَزْكُ الْبَحْرِ وَتُشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْمَدِينَةِ أَمْجَةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ حِمَامٍ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسِعَةُ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْخَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسِعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْتَنَاهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنْ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْخَسِرُ عَنْهُ . وَبَنَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُتَّصِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِثُرْمَةِ خَمْسَةِ
 وَعَشْرُونَ مِيلًا . فَخَشِينَا طَوْلَ الْقَامِ وَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَثُّ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَتَبَقَّا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ السَّيْرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّلْنَا بَعْضَ أَسْبَابِنَا وَخَلَفْنَا بَعْضَ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ . وَسَرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّافُ النَّصَارَى يَتَلَوَّنَا فَيُبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤَسُّونَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصَدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْحُبَّ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بَنَاءُ الْإِعْيَاءِ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبِتَنَافِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدُ
الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوُضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَهَ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِأَرَاةِ
عَيْنٍ تُعَرِّفُ بَعَيْنَ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
وَعَلَابُ مُشْرِقَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَافِقُ السُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مُسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَاءٍ. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
مَفْرُوشَةٌ بِخَصْرِ تُطِينُهُ لَمْ يَدْ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنَعَةً. وَقَدْ عَاقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قَنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَيْتٌ عَذْبَةٌ. فَبَيْنَا فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِقُرْبِهِ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ أَلِيلٍ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِنَاءً عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَائِسَ مُعَدَّةً
لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنَعْنَا
وَحُمًّا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِبُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلَامٍ وَأَدِينَا إِلَى
الْمُسْتَحْلِفِ لَيْسَا لِنَاعِنَ مَقْصِدَنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسِرْنَا فِي
بِكْكَ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمِيَادِينَ الْمُتَنظِّمَةَ وَالْبَسَانِينَ وَالْمَرَاتِبَ الْمُتَخَذَةَ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
 أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرَنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ تَجَلِّسًا فِي سَاحَةِ
 فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطَاتُ. وَالْمَجْلِسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلَّهَا. فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاطِرِهِ.
 فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
 حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 الْمُسْتَخْلَفُ يَهْدِي بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يُخَفَّانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
 شَيْخًا طَوِيلَ السَّلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَاهُ. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَبْصَرَانِنَا
 بَعْدَ أَنْ أَخْفَى فِي السَّلَامِ. وَلَمَّا دُعِيَ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَبَرِ الْفُسْطَاطِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
 بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَزَلَّنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِي جَنَبَرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطَا
 مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَمْسَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذَكَرُ بَلَرْمَا) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ مَخْبِرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ
 أَخْضَرَ. عَتِيقَةٍ أُنِيقَةٍ. مُشْرِقَةٍ مُؤْنِمَةٍ. تَتَطَّلَعُ بِمَرَايَ فِتَانٍ. وَتُخَايِلُ
 بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّكِ وَالشَّوَارِعِ. تَرُوقُ

الْأَبْصَارُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطُيَّةُ الْبَنِيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا تَمْخُوتُ الْأَجْمَرُ الْمَعْرُوفُ بِالْكَذَّانِ . يَشْفُهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنْبَيْهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَحَرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْأَفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِأَيْتِهَا قُصُورُهُ انْتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعِ . وَيَتَلَبَّ مِنْ بَسَانِيهَا وَمِيَادِينِهَا بَنَنُ زُرْهَةٍ وَمَلَايِبُ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِمَجَانِبِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ
 قَدْ زَحَرَفَ بُنْيَانُهَا . وَرَقَّةٌ بِالْأَقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُفْهَانُهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صَبِغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَابَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ أَتَجَّارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاصِدٌ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطَبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطَبَةٍ . وَبِهِذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُشِيدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوْ مُظْلَمَةٌ تُحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْإِمْلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ اخْتَلَعُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُنْيَانِهَا مَرَأَى
 يَفْجِرُ الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْحَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَاكِحِ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ مَا لَمْ يَر

مِثْلُهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَغْلَاهَا بِالسُّنَمِيَّاتِ الْمُدْهَبَاتِ مِنَ الزَّجَاجِ . فَتَخَفُّفُ الْأَبْصَارِ
 بِسَاطِعِ شُعَائِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ قِتْنَةً . وَأَعْلِنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
 تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَائِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُلْيَانِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُنْتَفَخَاتٌ مُتَقَبَّاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَسْنَا بِثِيَابِ الْحَرِيرِ الْمُدْهَبِ وَالتَّخْفَنِ اللَّحْفِ الرَّائِقَةِ
 وَاتَّقَبْنَا بِالنُّبْجِ الْمُلَوَّنَةِ . وَاتَّعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمُدْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكُنَائِسِينَ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّخْلِجِ وَالتَّخْطُوبِ
 وَالْعَطْرِ . وَكَانَ مُقَامُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِيهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ ... وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دَجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُنْشِ بِسَبَبِ مَرَكَبِنَا بِهَا أَحَدُهَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 تَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرِ مِثْلَ تَرْتِبَتِهَا طَبِيعًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهَا بِقَبَائِلَةِ
 قُرُطْبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعِلْمَةٍ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسُكَّانُ هَذِهِ الصَّيَاحِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ . وَفُتْنَا مِنْهَا سَحَرَ
يَوْمِ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حُمَامَاتٌ . وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا . فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
الطَّرِيقِ . فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحَتْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْثَامِ فِيهَا .
وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِ نَشْ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرِ نِيَاهَا
(مَدِينَةُ أَطْرَابِ نَشْ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ . غَيْرُ كَبِيرَةٍ
الْمَسَاحَةِ . مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ . مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَاسِي
وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَآكِبِ . وَلِذَلِكَ كَبِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّ
الْمُقْلَمُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدْوَةِ . فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ثُونِ مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .
فَالسَّعْرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثًا تَهْبُ الرِّيحُ
الْمُؤَافِقَةُ . فَجَبْرَاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْمَجَازِ الْقَرِيبِ . وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ السُّوقُ
وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدْنِ . لَكِنَّا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
صَنِيعَةٍ . وَأَنْبَجَرُ قَائِمٌ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِبَاتِ . فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بَدْلَهُ
مِنَ الْإِسْتِيلَةِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَزَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا . وَهِيَ مُؤَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَُا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ . وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
وَالْكِلَالُ الْقَرِيبَتَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ . وَبَرَكْنِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
مَائِلًا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطُ السَّمَوَاتِ مُتَّسِعٌ . فِي

أَعْلَاهُ قَتَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَقِيلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فُطْرَةٌ
وَيَصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالزَّرَائِعُ .
وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَجَجِرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ قَتْحُ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
فِيهِ ذَلِكَ الْمَقِيلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِجَادَتِهِ حَصَّنُوا حَرِيمَهُمْ فِيهِ وَفَطَعُوا
الْفُطْرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ أَعْجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَجَجِرَةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنُسُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَيْرٍ
عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ فَصِيرَةٌ الْأَرَشِيَّةُ مَاوَهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاغُ . وَأَقْنَمْنَا الْمَرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِفْلَاحَ إِلَى الْمَثَرِبِ بِهَا .
وَمَنْ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نَوَّلَ زَكُوبَ أَحَدَهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِنَنِهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
أَطْرَابُنُسُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرَسَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صَغَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلْطَةِ وَالْأُخْرَى بِبَاسَةِ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةُ سِوَى
الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاوْنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بَنَ جَبِير)

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ فِي عَجَابِ الْمُخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: الْحَبُّ حَيْرَةٌ تَرْضَى لِلْإِنْسَانِ لُصُورَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النُّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ إِعْدَمَ مَعْرِفَةٍ فَأَعْلَاهُ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النُّحْلِ لَتَخَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمُنْتَاسِوِيَّةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِقُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْمُسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اخْتَذَتْ مِنْهُ بَيُوتَهَا الْمُنْتَاسِوِيَّةَ الَّتِي لَا يُخَافُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا دَخِيرَةٌ لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يُشْفِقُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبَقَّى كَأَنَّ لَبْرَنِيَّةَ الْمُصْتَمَةِ الرَّأْسَ بِالْكَأَعِدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْحَبِّ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمُنْتَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ الْعَجْرَبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيبَةُ الْعُثْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَفْرَقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنْسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْبُوسَاتِهِ فَصَحَّطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسَرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
 حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ بَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارَةً لِّلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ
 بِالسَّبِيحِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَخِيرُ فِيهَا
 عُقُولَ الْمُقْلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
 الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالنَّسَادِ فَإِنَّ
 الْأَرْضَ وَالْمَوَاءَ وَالْجِبَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقَائِقِ مُلَاقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ
 يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَحْوِيَّةٍ . وَبَعْضُهَا
 حَمَائِلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دَوْلَائِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِئًا .
 ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
 تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَدُلُّ بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
 وَاخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
 نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَاخْتِلَافِ
 أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
 إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
 وَغُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
 وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَاتَتِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ
 إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِرْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْفِاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحْوِيَّةٌ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشَّهْبِ
وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالْثُلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَنِتَأَمَّلُ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظَامَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْتَغِيرُ الرِّيَّاحُ فَإِنَّهَا
تَلْعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَيُفْرِشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ عَبَابًا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِحَدَثِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مَقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيَعْقِنُ
الذَّبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا لَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحُبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يَرْيِي الزَّرْعَ وَانْمَادَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَغُورًا لِيَتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهَرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَقَرَأَهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجَاسَ الْمَعْدِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
 ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوْتَادِهَا بِنِعْمَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
 ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ أَلْيَافِهَا فِي أَوْشَافِهَا كَالْخِرَافَاتِ لِتُخْرِجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَنْفَخَ
 مِنْهَا الْعُمُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
 زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْآيِلَةِ . وَيَنْصَبُ قَاصِطُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيمَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
 الْغَوِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
 بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَحَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
 مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
 إِنْ خَلَقَ الْوَلُؤُوفُ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
 الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
 مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُذْبَرِ وَأَصْنَافِ الْفَنَاسِ الَّتِي يَقْذِفُهَا الْبَحْرُ وَتُخْرِجُ
 مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَّاحِ
 وَإِلَى اتِّخَاذِ أَلَانِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَاتِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَافِقِهَا .
 وَتَجَافُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعْدِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَيَنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
 كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
 كَالْقَيْرِ وَزَجِّهِ وَالزَّبَرَجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَقْيِئِهَا
 وَاتِّخَاذِ الْحُلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالْقَطِطِ

وَالْكَبِيرِ وَالْقَبِيرِ وَغَيْرَهَا وَأَجَلَهَا الْعِلْجُ فَلَوْ خَاتَ مِنْهُ بِلَدَةٍ لَتَسَارَعَ
 أَنْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْهَوَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَائِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيَفْضُلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحٍ مُتَوَقَّةٍ بِعَنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعَ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سَبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَالِهَا
 فَإِنَّمَا إِذَا نَزَلَ الْأَطْرُ عَلَيْهَا اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَنْبُتْ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ
 قَوْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْتِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى تَجَانِبَ
 تَدَهُّشٍ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّمْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ . لِيَرَى مَا يَتَخَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَاتِهَا الْبَيْتَ وَجَمِيعِهَا الْغَذَاءَ
 وَادِّخَارَهَا لَوْفَتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقَهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّمَكَةَ لِلضَّبِّدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ أَنْ تَحْجُبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِكَثْرَةِ أَنْشَاهِدَةٍ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ رَأَى الشَّمْسُ قَاعَظُمُ الْكَوَاكِبِ جَرَمًا وَأَشَدَّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانَهَا

الطَّيْبِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَجَمُّعُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَامَلِكٍ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ. وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرْيَخَ كصَاحِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمُشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي. وَزَحْلَ كصَاحِبِ الْخَزَائِنِ. وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي.
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِمِ. وَالْبُرُوجَ كَالْبُلْدَانِ. وَالْدَّرَجَاتِ كَالْمَسَاكِرِ.
وَالدَّقَائِقَ كَالْحَالَ. وَالتَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّابِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ أَلَمِ بَحْرِ كَاتِبِ أَعْلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِي. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِ لَقَسَدَتْ الطَّابِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا انْحَدَرَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَخْرَقَ هَذَا أَلَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ. وَلُطْفٌ آخَرُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَالَا لَأَشْتَدَّتِ السَّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شُعَاعِهَا. وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةِ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِيَتِمَّ فَإِنْ دُشِّهَا أَمَّا إِلَى الْجَنَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف العلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء أن الأفلاك تدور حول الشمس
وأطلق ما اعتقده القدماء من أن الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةِ قَتْمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْأَعْرَبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجَنَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قَتْمِيلُ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّامِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِ نَاسٍ
جَزْمِ الْقَمَرِ كَمَدٍ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسُ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُرَى تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا يَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَأَخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِقَمَرِ
النُّورِ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْخُبَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا انْفَرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ انْجِرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْخُبَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْخُبَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُخَيِّي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا . وَتَظْهَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَالْعُيُونُ قَاصِرٌ سَبَبًا لِبَقَاءِ الْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ
 النَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ النَّبَاتِ فَإِنَّ الزُّرُوعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ لَا تَنْبُتُ
 بِغَيْرِ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي نَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ . وَلِذَلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ
 الْخَيْلِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٌ مِنَ الزُّرُوعِ
 لِأَنَّهَا تَنْتَعِ شُعَاعَ الشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ الشَّمْسِ
 بِحَسَبِ الْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي النَّبْلُوفِ وَالْأَذْرِيُونِ وَوَرَقِ الْخُرُوعِ فَإِنَّهَا
 تَنْغُو وَتَرْدَادُ عِنْدَ اخْتِدَامِ الشَّمْسِ فِي الْأَرْتِفَاعِ وَالصُّعُودِ . فَإِذَا زَالَتْ
 الشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي الذُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ صَعَمَتْ وَذَبَابَتْ
 ثُمَّ عَادَتْ الْيَوْمَ الثَّانِي إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا
 نَرَى الْحَيَوَانَاتِ إِذَا طَلَعَ نَوْرُ الصُّبْحِ حَاقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهَا قُوَّةً
 فَتَظْهَرُ فِيهَا قَرَاهَةٌ وَاتِّعَاسُ قُوَّةٍ . وَكَأَمَّا كَانَ طُلُوعُ نَوْرِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ
 كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ الْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهَا أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسْطِ
 سَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسْطِ سَمَائِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتِهِمْ وَقُوَاهُمْ فِي
 الضُّعْفِ وَلَا تَرَالُ تَرْدَادُ ضَعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ
 رَجَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتْهَا كَأَلْمُوتَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا
 الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادُوا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ الْفَلَكَ الْأَسْفَلُ وَهُوَ
 جِرْمٌ كَثِيفٌ ظَلِيمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يَرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا فَارَتْ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنْ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَا لَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَزَايِدُ الْإِنْخِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَةُ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَةُ لَنَا فَفَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ أَجْزَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَابَرَةِ الشَّمْسِ يَنْجَحُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتَيْ الرَّاسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِمْقَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيَرَى مُخْسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُبْلَاغَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هَذَاكَ أَنتَهَى الْمَدُّ مُتَمَّهًا فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَاءِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَظَرَّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُتَمَّهًا . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتُ اتِّبَادِ الْمَدِّ

أَحْسَ لَأَمَاءَ حَرَكَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجُ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَوَّاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِّ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْحِجْرَةِ وَالْكِرَاكِبِ الثَّوَابِ

٣٤٤ وَهِيَ أَلْبَيَاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَاهُذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَائِبٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحِجْرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَعَارَتْ كَانَهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنَّسَبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّابِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَرَكِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْخُسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

السَّمَاءِ مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الَّذِي شَبَّهَ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعَقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبِّهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّورِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَّ الْخِلْقَةِ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ ... وَنَمَّا
أَلْفَوْاهُ هَذِهِ الصُّورَ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّالِعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَضْلٍ طَبْعًا مُعَيَّنًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُضُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدْرِيجِ .
فَلَوْ أَنْتَقَلَ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِ عَظَائِمِ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْخَرِيفِ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُتَغَيَّرُهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُضُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهَرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ .
 وَاخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَلَبَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَبَتَ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْأَلْدَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِقِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابُّ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُزَاءِ . فَيَحْتَسِدُ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَتَخَنَّنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَتِ الْعِمَارُ
 وَجَفَّتِ الْحُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسِمَتْ الْبَهَائِمُ .
 وَاشْتَدَّتْ نُمُو الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبَسَتْ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَتِ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاسْتَسَمَّ لِلنَّاسِ الْقَوْتُ
 وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلْفُ . وَتَكَمَّلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتْ

الدُّنْيَا كَانَتْهَا عُرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِالْعَمَةِ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتِقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ الْمِيزَانِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنٌ لِنُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدْءِ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانٌ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ بَرْدَ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَتَقْصَصِ الْمِيَاهِ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَبَيَسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ الْبُيُوتُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالثَّمَرُ وَعَرِيَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَانْبَحَثَتِ
 الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبَدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيِيرِ الْهُوَامِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَمَا كَانَتْ كَهَلَاةٍ قَدْ وَلَّتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُؤُلِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَشِنَ الْهُوَامُ وَتَغَيَّرَ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَقَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْبَحَثَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُتُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلِمَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزِلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعِفَتْ قُوَى الْبَدَانِ . وَمَنَعَ

أَلْبَرَدُ النَّاسَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَمَرَعَيْشُ أَكْثَرُ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّبَلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهَوَامِّ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالْعَبِّ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاعُهُ صَانِقًا لَمْ تَغْلُ
 قَدْرُهُ شَايِتًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالثَّلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَفْبُضُ إِلَى الْأَهْوَاةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْزُونَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسَافِلِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَمِيمَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جريانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَنْقَطِعُ مَادَّتُهَا لِوُصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَسَافِلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَنْقَطِعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَمَرِهَا تَسْقِي الْمُدُنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطَفُ وَيَنْصَاعِدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغَيْومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَعْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالتَّمَسُّكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَفَقَّ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
أُنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ لَحَاطٌ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِئٌ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلَسَاءَ
وَلَا مُصْتَمَةً بَلْ كَثِيرَةُ الِارْتِفَاعِ رَالِإِخْفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَّلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلُجَانُ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ مِيَاهًا وَبُحَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شَيْءٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَالْوَانِيهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَاحِبُهَا
وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتَرَسِ وَلَوْ لَا
ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتَمَدُّ عَلَيْهِ
جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِتَاعُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأُسْتَدَارَةِ وَالَّذِي
يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّهَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرَ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعُمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُحَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُحَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاقَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَنَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَاخِجَةٌ مَائِنَةٌ وَمِنْ قُوَّتِهَا يَرْدُ الزَّمْهَرِيرُ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصَةٌ وَلَا يَزَالُ الْبُحَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَنْظُرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَخْتَنَ فَيَتَكُونُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْضَمَّتْ أَجْزَاءُ الْبُحَارِ

ثُمَّ تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ قَتَصِيرُ قَطَرًا. فَتَذَاتُ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ. فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَاجْتَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا.
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْعَدَ الْبَخَارِ فِي الْقَعَمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجَأً لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْعِدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ وَتَخْطِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّقِّ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْغَطَرِ وَالْبَرْدِ. وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِقًا أُرْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي الْغُيُومِ وَتَرَكَمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَرْقُ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ أَلْزَمَ بَرْدٌ مِنْ فَوْقٍ غَاطِطُ الْبَخَارِ وَصَارَ مَاءً
وَأَنْهَمَتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطَرًا. وَعَرَضَ لَهَا الْثَقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السَّحَابِ وَمِنْ تَرَكَمِهَا تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَطْرَافُ الصَّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطَرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَعَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ. وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَجْزَاءُ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يُجْعِدْ نَزْلَ طَلًا وَإِنْ أَتَجْعَدَ نَزْلَ صَفِيمًا
فِي الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَالَتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ الدُّخَانُ
يُأَزِجُهُ الْبَخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ. فَيَتَعَدَّدُ

الْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصِدَ الصُّعُودَ
وَأِنْ صَارَ بَارِدًا قَصِدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمْزِقُ السَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنيفًا
فَيَجِدُّ مِنْهُ الرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِسِدَّةِ الْحَاكِمَةِ فَيَجِدُّ مِنْهُ الْبَرْقُ
إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
قَرِيبًا تَذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الذَّهَبَ
فِي الْحِرَّةِ وَلَا تَضُرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَجِدُّانِ مَعًا
لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرَّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
لِلْحَادَاةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَمًا .
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يَطْفِئُ الْبُخَارَ
الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِكَثَافَةِ أَجْزَاءِ الْغَمَامِ .
فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَفَتِ انْخَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزْلًا شَدِيدًا كَمَا إِذَا اخْتَبَسَ الْمَاءُ
ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرِيًا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَابِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(*) قد اتفق الآن للطبيعيين الحديثين البروق والرعود مسمّاة عن الكهرومائية وقد

أنواع على شرح ذلك في كتبهم

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢م)
٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ تَرَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكُهَا إِلَى
طَاعَتِنَا فَأَبَى. فَحَقُّ الْقَوْلِ عَلَيْهِ فَأَخَذَنَا هُ أَخْذًا وَبِيلًا وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا
فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سَاطِنَ مِنْكَ عَلَيْنَا.
فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْمِهِ بِظَافِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكُفِهِ. وَالسَّلَامُ
ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تَيُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْعَجَمِ إِبَا الزَّوَارِسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَبَذَرْتَنِي
رَأَيْتَ وَتَمِغْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعِمْتَ. وَإِلَّا فَأَعْلَمُ أَنَّ قُدَّامَ
قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْخُرَابَ وَالْفُحْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِنْهُمْ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدُ
عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (أَخْبَارُ تَيُورِ لَابْنِ عَرَبْشَاهِ)

كتب الحسن بن زكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمُتَّصِرِ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ.
فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَهَمَّنِي إِلَيْنَا مَا
حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَحْيَتِكَ مِنْ

الظلمِ وَأَتَمَّبْتَ وَالْقَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُهْدَى
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَهِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَانَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِصِّ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْأَمْرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نُجْزِيَنَا اللَّهُ فِيهِمْ تِلْكَ أَحْسَنَ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْتَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِضَرِهِ الْإِلَهِيِّ لَمْ يَزَلْ يُودِنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتَبَادَرِ إِلَيْنَا بِالْخَبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حباب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَهُذَا الْمَكْتُوبُ الْعَلِيِّ الْإِمَامِيِّ عَنِ الْأَمْرِ الدَّلَوِيِّ الَّذِي
دَانَتْ إِطَاعَتُهُ الْكُرَيْمَةَ مَمْلَكَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَأَنذَرَتْ لِدَعْوَتِهِ الدَّعْوَةَ
الْأَقْطَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْفَاصِيَّةِ وَالْدَانِيَّةِ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّعْرَانِيَّةِ
وَالْمَلِكِ الْمَسِيحِيَّةِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانِ
قِرَانَصَةِ لُويزِ ابْنِ السُّلَاطِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارِ
أَمَّا بِنْدَ حَمْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقِّهِ فَكُنَّا بِهَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَالِيَةِ مَدِينَةِ مَرَاكِشَ وَلَا زَانِدًا إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِنَا الدَّعْوَةُ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْجَمِيلَةِ الْمُنْعَمَةِ السَّجَالِ. الْمُنْتَالَةَ فِي الْبَكْرِ
 وَالْأَصَالِ. اللَّهُ أَمْنَةٌ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
 خَدِيمُكُمْ الْمُرْعِيُّ الْخَوْطُ الرِّزِيلِيُّ عَلَى مَرَسِي ثَغْرِ أَسْفِي الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ. مَعَهُ لِحْدَانَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادِرًا بِوُضُولِهِ إِلَيْنَا
 فِي الْقُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْنَاهُ فِيهِ مِنْ تَقْرِيدِ الْحَيَّةِ وَتَأْيِيسِ
 الْمُدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَثَرْنَاهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَانِيَّيْنِ
 الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَفَاوِئِنَا الْعَلِيِّ لِنَسْرِ يَحْمَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
 وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أَسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْلِهِ. وَأَجَبْنَاكُمْ
 عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
 الْوَجْهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلَاتِيِّ. وَقَدْ دَانَ
 يَأْتِي مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
 تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحْدِيمَنَا مَنْ يَتَوَمُّ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَيَمْدُّ يَدَهُ
 فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيَسَامَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
 الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسْفَ فَقَدْ خَدِمَكُمْ مِنْ
 الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَصَ بَعْضُ
 الْحُدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمِهِ
 وَيَعِينُ أَنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَمْتَاءِ الطَّرِيقِ قَفَاقٍ قَبْلَ
 وَضُولِهِ. وَالْحُدَّامُ الَّذِي يَكُونُ بِهَدْدِ أَغْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْرِهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَتَنَبَّيْ لَهُ إِلَّا تَرَعَّاجٌ قَبْلَ اسْتَيْفَائِهَا. فَمَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لُتَرْفَعُوا أَتْنَاكُمْ نُنْقِصَ فِي أَغْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّاةَ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
أَلْكَتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْبِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَاكُشٍ وَنَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ
السَّعَادَةِ شَمْسُهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِسْرِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلَّى
أَمْرُهُمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ الْمُتَمَتِّنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُونُصُوكُمْ بَرْطُلَمِي
دِ بَطْنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَزَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرَحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُقُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رَعِيَّتُكَ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصِّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفْنًا مِنْ سَفْنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَفْصَى أَيْالَتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيَا لِمَهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَّةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِينَا الْمَذْكُورُ لَا يُبْطِئُ وَهُوَ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزَمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَتَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
أَنْتَهَى . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الرِّثْيُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقُ بِلْسَانِي .
وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَتَخْصُكَ مَائِلُ بَيْنَ عَيْنَيَّ . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُخْمُودٍ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَابِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ

• كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعْلِمُهَا فِيهِ مُشْرِقَةُ يَمَانِهَا . حَالِيَةُ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجَبَ
 أَنْبَاءُهَا وَحَثُّ الْمَطْلَبِ فِي أَنْبَاءِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أُنَيْقٍ مِنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ ثَمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلْمُودَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا. وَالْمُدَّةُ تُولِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَخٍ فِي إِقْلَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَانَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسُنَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَائِيهِ
 تَصَافُّ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ أَحْمَدُدةً فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْفَرَّةِ الْمُبَارَكَةِ لِي لَا وَخْشَةٌ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
 الظُّلْمَ بِفِرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرَّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤَسِّنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًا يَمْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفِرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَئِذٍ طَلَبَ أَوَّلُهُ وَحُسْنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَاتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتْ طَيْبُ الثَّمَرِ لِيُشْفَى
 الْغَلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرَتْ فَرَّقَتْ سَمَانَنَا. وَإِنْ تَعَجَّلَتْ إِلَيْنَا نَظَّمَتْ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للةيرواني)

كتاب زبدة الى المأمون بعد قتله بها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَنَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَقَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَوَاتِ
لِجَبَلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضُنْفِي وَأَسْتَكَاتِي وَقَلَّةَ حَبَاتِي
وَأَنْ تَهْلِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أَمَاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَابَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ بِي شَهِدَ اللَّهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنْ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمُخْرَقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَمْدُرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعُدْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ •

ثم أمر برّذ ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها وادّاعها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراس اليسني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهُدْيَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطَفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْفَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أَحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :

مَا قَصَّرَتْ هِمَّةُ بَلَّغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا الْأَنْدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسَنِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفَرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَغَزَا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

٣٦٥ كتب أحمد بن أبي طاهر مع هدية :

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاجِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هُدْيَةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتَنِي نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتَنِي مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جارية من جواري المأمون تفاعلة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرِّعْيَةِ فِي الْهُدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتُرَ الطَّافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدْيَةٍ تَخْفُ مَوْنُهُمْ وَتَهْوُنُ كَلْفَتُهُمْ
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا أَلْتَمْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 أَلْعَدَدِ كَثِيرَةٍ فِي التَّقَرُّبِ . وَأَخْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَأَكْشَفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَقَنَّ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمَقَهَا بَيْنَ
 الْحِلَالَةِ وَتَلْخُظَهَا بِمَثَلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 آلِهِ الصِّمَّةُ التَّفَاحُ اجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ النِّضَةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل الساطن في المهرجَان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْمَادَّةُ بِالطَّافِ الْعَبِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا نَبْلُغُهُ الْهِمَّةُ فَكَّرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أُلْبِغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَاصِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرُجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَلَزَمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرُمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يَعْزُّ تَلَى الْهَوَانِ
 يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِ

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصارى يهنئ به بنه من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَامِهِ اللَّهُ سَلَامُ اللَّهِ الطَّبِيبِ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَبَرِّهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
أَجْسَمِ . وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْثْرِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لايي الفرج)

في التوصية

كتاب الي بكر الي يزيد ابن الي سفيان

٣٦٩ إِذَا مَرِيتَ فَلَا تُهِنَّ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغَضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجُبْنَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نُصِرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوهُمْ إِلَّا مَرْحَبًا . وَمَنْ يُؤْلِمْ يَوْمَئِذٍ دُورَهُ إِلَّا مُنْحَرِقًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَمْرُبُوا أَخْلًا
وَلَا تُنْحَرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمَرًا . وَلَا تَعْمُرُوا بَيْمَةً إِلَّا
بَبَيْمَةٍ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَمِّرُوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانَ زَهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَاقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَفْعَلُ أَمْرُكَ .
فَيَا لَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْعِمَكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرَسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَطِطَ
سَفْطَةً لَا شَوْىَ لَهَا وَتَعْتَرِثَ عَثْرَةً لَا لَهَا (أَيْ لَا إِفَالَةً) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابى وقاص وبن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعُدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنْ الْمَعْصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْحَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ بِهِمْ قُوَّةً لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدِّهِمْ وَلَا عَدَّتُنَا
كَعَدَّتِهِمْ . فَإِنْ أَسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْإِلَّا نَنْصُرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي بَرِّكُمْ
حَقَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُّهُمْ . وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْأُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّلَامُ لِمَنْ يَرْضَى

قَوَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ سَارُّونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِمَّ
 مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُجْبُونَ فِيهَا
 أَنْفُسَهُمْ وَيَدْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْكَ رَاحَتُهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
 الصَّلَاحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَقَى بَدِينَهُ . وَلَيْكُنْ عِنْدَكَ
 مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصِيحِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
 الْكُذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبَرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَيْكُنْ مِنْكَ عِنْدَ
 دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَقِظُ مِنَ أَلْيَاتِ جُهْدِكَ .
 وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
 إِلَيْكَ . فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَعْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
 الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَلِيِّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب أبي العتاهية إلى الفضل بن . من بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
 وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فَرَادَا مِنْ الْفَقْرِ وَرَجَاءُ الْغِنَى وَأَزْدَدْتُ بِهِمَا بُعْدًا مِمَّا
 فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتَ فِي مَنَاجِي . أَمِرتُ بِالْيَأْسِ مِنْ

أَهْلُ الْبُخْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتُ عَنْ مَنَعِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّفَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَجِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحَلِّ النَّفِيرِ وَأُزْلُهُا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّمَةِ وَضَرَعَتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغْيَرِكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحِكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى أَتَقَبِّحُ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَافَيْتَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ غَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبْدَأُتَنِي بِالطُّفِ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعَقِّبُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُطْعِمَنِي أَوْلَكَ فِي إِخَانِكَ وَأَيْسِنِي آخِرُكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسَبْحَانُ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ غَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْمِ نَاعِلِي أُنْتِلَافٍ . وَأَفْتَرِقْ نَاعِلِي اخْتِلَافٍ

وله ايضاً في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَاجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأَخْتِسَاسِ جَوَابَاتِيَا عَنِّي . وَلَكِنَّ أَلِيمَةَ مَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يُقْبِحُهُ جَهْلُوكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمُفْتَحُ الْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّثْرِيعِ الْأَطِيفِ
فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَعْتُ عَمَّا بَعَثَكَ إِلَّاهُ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْخُرْجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْ مَا نِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : بأني إقرأ هذا الكتاب وكتب اليه بما يردنه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفَظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَنتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ اللَّذَاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِذًا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مِنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْخِلَافَةِ
بِغَيْرِ كَلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا تَلُ الْهُوَى
وَالرَّأْيَ لِلنَّاسِ الْخُلُوعَ . فَإِنْ كَانَ كَذَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كُتِبَتْ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتِهِ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا قَدَرَهَا :
 رَكُوبُكَ الْهَوَلُ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَحَى بَيْكَ بِالْإِقَامِ تَغْرِيدُ
 أَمْوَالٍ يَدُنِيَا يُصِيبُ الْخَطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَرْوَرُ مَرْوَرُ
 قَازِرَعِ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكَتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهْرَتَ بِمَحَاسِنِهَا . فَتَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَدَرُونَ وَذَكَ
 وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَذًا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرِّهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدير :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَنْتَهَوْا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوا وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيَقْدِمُهُ
 اخْتِيَارُكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُؤَافَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَاسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَلَقَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى غُنْمِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرِبِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّيْعَةِ

فصل له ايضاً

٣٨٣ السَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَدَنَّاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ . وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاثْرُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمُسْدُودِ بِهِ تُلْمَهُمُ الْحُجْدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْحَيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا انْخَسَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَقْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ
فَكَ . وَإِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ أَعَزَّاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَزَيَّرْ بِعِزِّ اللَّهِ تَنَقَّطَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُنْقِضُ الْأَجْرَ وَالْجَزَعَ يُعَقِّبُهُ الْهَلْعُ . فَتَمَسَّكَ بِحَبْطِكَ مِنَ الصَّبْرِ تَتَلَّ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذَرِّكُ بِهِ الَّذِي تَأْمُلُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن الدمك الى هارون الرشيد يعزیه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ أَلْكُ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَرَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ وَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعَقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ أَلْكُ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى علي

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمُشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلْ أَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مِنْهَا أَتِي
مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُرْأَى لِمَا . فَأَنَا عَائِلٌ مَصْرُوفُ الْعَنَاءِ
إِلَى عَائِلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخْصِنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنْ الْحَقُّ قَدْ سَطَعَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لَا فِي عَائِلٍ بِعَلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثْرٌ بَادٍ فِي حَالِي لَعَنَتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّتْهُ الْأَثْرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي بآبن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذَهَبِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْعِدًا مِنِّي . أَتَرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَالِيهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كُتِبَ لَهُ وَاتَّقِ بِنَ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الْثِقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَا نَقْدَ اسْتَغْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَخْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرٍ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرَّةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُخْطَبِهِ . فَاسْطِ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : وَوَصَلَ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخَلِيتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ (لَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطبائعهم وسكانهم

٣٩١ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . أَحْيَامُ
لِسْكَنَاتِهِمْ وَالْخَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَخَذُونَ الدَّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُتَفَرِّقَةً وَيَتَعَمُّونَ الرِّزْقَ فِي
غَايِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْقَنْصِ وَتَحْطَفِ النَّاسِ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَمَلَّبُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حُمَاةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَتَجَاعَلُ الْمِرَاعِي غَنَمَهُمْ . وَازْتِيَادَا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةَ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلِ
أَثْقَالِهِمْ وَدِفْقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَاخْتَصُّوا لِذَلِكَ بِسَكْنَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا أَيْمَنَ وَالْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِاخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرَّمَالِ وَالْقِفَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْأَهْلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَضْلِ الرَّبِيعِ وَزُخْرَفِ الْأَرْضِ لِرِغْيِ الْكَلَالِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّنْقُلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَضْلِ الصَّيْفِ لِمَدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرَبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْعُمَرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعَرَاتٌ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرِغْيِ الزَّرْعِ مُخَضَّرًا وَأَوْتَهَايَه قَانِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَالِكِ الَّتِي لِسُلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا . ثُمَّ يَتَعَدُّونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقَفَّارِ لِرَغْمِ شَجَرِهَا وَتَنَاجٍ
إِلَيْهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَعَظَمَانِهِمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِفْلَهِمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْخَدِرِينَ عَلَى تَمَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ بُنْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
وَبُنْسُ الْعِمَانِمِ تَبَا نَاعَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرِّ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
أَعْتَقَالُ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجْرُوا تَنَكُّبَ الْنَفْسِي (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطْرِزِيُّ : اخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْتِهِمْ أُشْتُقَ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةٍ وَدَعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالْجَبْرِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ .
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِلتَّقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادُ وَثَمُودُ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَمٌ
الْأُولَى . وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سَبَّيْ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
 الْعَرَابَةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَلِيلٌ وَصَوْمٌ
 صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَخْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمُسَوْدِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي أَمَّةِ الْإِلَهِ وَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْأُرَى فَبَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَتَخَوَّنَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَنِي .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَايِبِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَنْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَكَثَّرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُصَادًّا لِلْجَدِيسِ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلُهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِاللُّغَةِ الْبَرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِئَامٍ أَنْقَرَا ضِعْمَهُمْ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنَّهُ طَعَمَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَاتَّسَوْا مِنْ أَلْبَانِدَةٍ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ أَتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسَمِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةَ لِتَزْوُلِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِبَةِ وَتَحَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابَرَ بْنِ شَالَحَ بْنِ
أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنِ وَلَيْسَ التَّلَاجُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رَتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأُولَئِكَ فَاصْبَحُوا بِمُتَحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَا لَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوْاءِ الْقَفْرِ
أَفْعَادُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَتَمَيَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَالَمَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاوَهُمْ بِمَنَازِلِهِمْ وَاسْتَجَدُّوا حُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا اسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْرَبُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنًا وَبِهِ
تَمَيَّتِ أَلْيَمَنِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْبَتِ اللَّعْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْرَبِ أَبْنَاءَ قَصْرْتُمْ مُعَرِّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكَ بَدَّ يَرْبِ أَبْنَهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِيَّ الْعَرَبِيَّةِ وَاسْتَبَدَّ أَعْمَامَهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلَائِكِ . وَمَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
 الْفُرُؤُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِّيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مُدُنِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنُّوَيْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدَّ مَأْرِبَ وَتَفَرَّعَ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدَّامًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالْعُثْرِ وَالْأَقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِتَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حَمِيرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدَا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَفَعُوا وَأَعْرَضُوا أَجْفَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَاعَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَوَاتِرَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَارِلَةٍ لَمْ يَضْطَظَّهُمُ الْخَصَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مَلِكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَأَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ الْأَبْسَرُ فِي ثَقَلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَلَّتْ بِأَصَحِّ مِنْهَا مُتَخَرِّجًا جُهْدَ الْإِسْطِطَاعَةِ عَنْ طُوسٍ مِنَ الْكُفْرِ وَأَقْفَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُولِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى نَفْسِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ إِسْبَاحًا مِنْ الْوُلْدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ
 حَمِيرُ وَعَمْرُو وَكَهْلَانُ فَيَنْزِي التَّبَاعَةَ إِلَى حَمِيرَ وَالْمَذَادِرَةَ إِلَى عَمْرُو وَيَأْتِي

الْفَسَايِنَةُ إِلَى كَهْلَانٍ . وَسُورِدُ بِالْخَيْصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشذاد وقع الاول)

٢٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعَةُ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّخَرُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيَسْمَى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ يَتَّبِعُ . وَأَمَّا خَيْرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِيِّجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَابْنُ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَذَادٍ فَقَرَأَ الْبِلَادُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَابْتَقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ خَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَمَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَيْنِهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي نَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْفَنَائِمِ (حمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذو الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةُ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِمَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقُ الْبَرَبَرِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَثَرُهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا انْفَتَحَ الْمَغْرِبُ وَتَبَيَّنَ رَطَابَتُهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِهِمْ . فَسَمَّوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ أَنْ يَرِيْسَ أَخُوهُ عَمَرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُخْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَبْعَا بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَرْهَةً وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :
يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهَلْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بَنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ رَزْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ خَيْرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَمَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّتِ الْمُلُوكُ شَرَحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَاقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَّ شَرَحِيلُ بِالْمُلُوكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ الْهَذَا . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمرو وعش ومزقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَا وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
عَلَيْهِ بَنَفِيسَ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمُلُوكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلْدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطَوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْإِمْنِ
وَسَارَ غَارِيًّا إِلَى الْمَغْرِبِ فَلَبَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثَرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَزَجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ يُصَبَّ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحِمَيْرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَاَفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَعْطَبَ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْرُ مَرْعِشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَزْتِمَاشِ كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمُنَازِي

وَالْأَنْهَارُ أَلْبَيْدَةَ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
جَيْخُونَ . فَقَالَ الْعَجَمُ شَيْئًا كَذَبًا أَيُّ شَيْءٍ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبْتُهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمْرَقَنْدُ . وَشَخَّصَ مِنْ أَلْيَنَ
غَازِيًا وَرَمَى بِالْحِيرَةِ فَخَيَّرَ عَسَاكِرَهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَلْيَنَ وَهَاتَبَهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَلِكُ وَذَلَّلَهَا وَعَمِدَ إِلَى
الصَّيْنِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصَّيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَأْسِ سَامِي أُمَمَةٍ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ أَلْيَنَ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصَّيْنِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلْلِ يَمْكُنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِنَاءِ بِلَادِهِمْ بِأَتْمَادٍ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَرَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَتْهُمْ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةِ . فَتَوَعَّلُوا فِي فَلَوَاتٍ سَحَابَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ أَتَقَلَّ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُرْفُرَةً ، لِئَلَّا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَخْتَلَّ السَّيْلُ أَنْعَامُهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَقَتَرَقَتْ الْقَبَائِلُ الْعَجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسدودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نَوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نَوَاسٍ هُوَ ابْنُ تُبَّانٍ
أَسْعَدُ وَأَتَمُّهُ زُرْعَةٌ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ اتَّبَاعَهُ لَمْ يَمُتْ
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ بِقَالِ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاسِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَنِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَهَّطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيَمُونَ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيَعْظُمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطِنَ إِسْأَنُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَمُّهُ صَالِحٌ
وَلَزِمَهُ وَخَرَجَا قَارَيْنَ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِأَ ابْنُ لَادِ الْعَرَبِ . فَأَخْطَفَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَغْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ اتَّبَعَ فَيَمُونَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاتَّبَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيَمُوتُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ أَلَيْتٌ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مَصْبَاحٍ حَتَّى يُضَيِّعَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَدُّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيَمُوتُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَعْمُ مِنْهُ شَرَابُ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى قَفَّ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُهْجَرَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَذْهَبُوا إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقْذَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَقِيَّتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَعٌ غُرَّةُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّأتْ . فَقَالَ لَهَا
الْعَلَامُ : يَا أُمَامَةُ لَا تُتَافِقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالَ لَهُ دُوسُ دُو
ثُلُبَانٍ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى قَرِيهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ قَبَعَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَهُ السُّفْنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهَّدَ
إِلَيْهِ بِتَلْتِمِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فَمِنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
وَبَقُومِهِ وَجَهَ بِقَرِيهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ ضَخْخَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
غَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَاطُبَةِ .
(٥٢٩ ب م) وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالُ
خَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونُ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَضَى عَلَى أَرْيَاطُ أَبْرَهَةَ أَحَدَ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رَعَاةَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْعُرْبِ فَأَتَمَّحَازَ
إِلَى أَرْيَاطُ عُظْمَاءَ الْحَبَشَةِ وَعَطَّارِيَهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَبْرَهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبَذَلَ لُؤْبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَبْرَهَةَ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَمْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاقِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَأُلُوْا حَيْثُ ذِي جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَبْرَهَةَ وَأَقَامَهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا حَلِيمًا دَحْدَاحًا ذَا دِينٍ فِي النَّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً حُكْمَةَ الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْفُلَيْسِ (*) فَأَتَشَرَ خَيْرُ بَنَاءٍ هَذَا أَلَيْتَ فِي الْعَرَبِ . وَبَا هَلَكَ أَبْرَهَةَ
(٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَيْرَ وَقَبَائِلَ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَلَمَّا كَانَ أَخُوهُ مُسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (الازرقى)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
الْحَمَيْرِيُّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةَ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبُ أَوْلَاكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحَبْرَةَ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى الْحَبْرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَكَ إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَلَهُ الثُّعْمَانُ إِلَى حَيْنٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْقَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لَأَتَّيْلَ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان الفُلَيْسُ مرتباً مستوي الترتيب وجعل طولهُ في السماء ستين ذراعاً وحولهُ
سورٌ بينهُ وبين المَلَيْسِ مائتا ذراعٍ مطيفٌ به من كل حاب وجعل بين ذلك كله حجارة
تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة . وكان
له باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلقُ العمل
بالساج المقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مسروبة بالفسيفساء مشجرة بين اضلاعها
كوكايب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة حُدُّها بالفسيفساء وفيها صلبٌ منقوش
بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مرعة تنقش عين من نظر اليها من
بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
البنج وهو الانوس مفصل بالمراج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدْتُ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مُلْكًا أَزْدَدْتُهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَخْصُوا
بِأَمَانَةٍ وَقَدِّمْ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
وَهَزَرَ الدِّيَّامِي . فَتَوَاقَفُوا لِلْعَرَبِ وَأَمَرَ وَهَزَرَ ابْنَهُ أَنْ يُيَاوِسَهُمُ الْقِتَالَ
فَتَتَلَوْهُ وَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَنَفَّلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهَزَرَ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ سَمَّيَهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
فَرِيضَةٍ يُودِّيَهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزَنَ وَأَرْزَلَهُ بِصَنَمَاءُ .
وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزَنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قَعْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
يُنَالُ إِنْ الصَّخْرَةَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ
لِذِي يَزَنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَتَسَفَّ الْحَبْشَةَ وَيَمْتَلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
أَقْلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَائِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْجِرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
بِالْجِرَابِ فَتَتَلَوْهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاتَّخَذَتْ عَمَلَهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تَمَلَّكَ مَلِكُ بَنِ فُهْمٍ وَجَنِيَّةِ الْبَرَشِ

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ أَعْرَبَ بِالْعِرَاقِ فِي الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرَحُ حَالِهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَّثَ سَيْلُ الْعُرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرَبَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ . فَكَانَتْ تَنُوحُ وَقُضَاعَةُ وَهَمَا حَيَّانٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ يَمْنَنُ تَمَزَّقَ إِلَى الْعِرَاقِ . فَقَالَ مَلِكُ بَنِ فُهْمٍ الْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ بْنِ الْقُضَاعِيِّ : نَقِمْ بِالْبَجَرَيْنِ وَتَنَحَّأَفْ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَحَالَفُوا . فَسَمُوا تَنُوحَ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مَلُوكِ الطُّوَّافِ فَنَظَرُوا إِلَى الْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنْ الْبَجَرَيْنِ وَسَارَتْ الْأَزْدُ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بَنِ فُهْمٍ الْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ قُضَاعَةُ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَالِكِ الْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَنُوحَ فِي الْعِرَاقِ مَلِكُ بَنِ فُهْمٍ (١٩٥ للمسيح)
وَكَانَ مَنَزَلُهُ بِالْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمِيَةً بِاللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيَهُ قَالَ :

حَزَانِي لَا حَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرٌّ أَجْزَانِي
أَعْلَمُهُ الرِّمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ فَاطَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكِ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ الرَّأْيِ بَعِيدَ الْمَنَازِلِ شَدِيدَ الْكَفَايَةِ ظَاهِرَ الْحَزْمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِالْحَيُوشِ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَفَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعِتُهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَثَرِشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحَيْرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَارَ الْكُرَى النُّجَاجُورَةَ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يُجَيِّ
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْعَى جَذِيمَةُ فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشَكَ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعْدِيًّا وَبَعْضُ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّأْرِ
حَتَّى قَاتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمُوحَ سِتِينَ سَنَةً بِالتَّحْرِيكِ (لَحْمَةُ الْأَصْفَهَانِي)

ملك عمرو بن عدي

٤٥٥ قَوْرَثُ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحَيْرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
بَعْدَهُ الْحَيْرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّأْرَ مِنَ الزَّبَاءِ بِحَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَسَتْ
الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَقِيلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَعَدَّ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزَيْدٍ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَحَقَّقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْزَلِي لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَكَرِهَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَانْكَأ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَعِدًّا بِأَمْرِهِ يَنْزِعُ الْمُغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
وَتُحْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ الْوُقُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
لِلْمُلُوكِ الطَّوَاقِبِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ قَارِسَ
أَرْضِ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
أَرَادَ مِمَّا يُؤَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُؤَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَوْخِجِ مُجَاوَرَةِ الْعِرَاقِ
عَلَى الصَّمَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
مَعَ مَلَكَ فَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَأَنْصَحُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
مِنْ الْعَرَبِ يُجَادِلُونَ أَحَدَانَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتُهُمْ فَيَخْرُجُونَ
إِلَى رَيْبِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
فَقَصَّارُ أَهْلِ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ . الثَّلَاثُ الْأَوَّلُ تَوْخِجٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيُبُوتُ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غُرَبِ الْفَرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا قَوْعَهَا . وَالثَّلَاثُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
الْحِيرَةِ فَأَبْتَوْهَا . وَالثَّلَاثُ الثَّالِثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
الْكُوفَةُ وَتَرَاهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (للتويزي وحمة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدو والمخزوم والتميم الاعور السامخ

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدُوُّ وَهُوَ الْأَوَّلُ
فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُسْلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَلِ الْفَرَسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقَبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدَ بَنِي
قَارَانَ قَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثاني) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنَّذِيرِ وَالْحَرَقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
ابْنُ يَسْرٍ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَمِلُ بَعْدَ آلِ حَرَقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّامِيُّ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامٍ يَذْجَرُ دَفْدَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بِهْرَامُ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِبِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ بَيْنَ يَلَتْنِهِ الْجَلَالُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَةِ حَتَّى انْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَا رَضِيَهُ . وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ سِرَارًا كَثِيرَةً وَكَثُرَ الْمَصَائِبُ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاهُ الْفَرَسَ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَاهُ تَوْخُ . فَكَانَ يَفْرُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ . وَكَانَ عَصَارِمًا حَازِمًا ضَاطِطًا لِلْمَلِكِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنَ مُلُوكِ الْحَيَةِ . وَالْحَيَةِ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفَرَاتِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَضَرَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ لِمُسُوحٍ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود ر امرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ قَوْلَى الْأَمْرِ ابْنَهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَّوْا عَلَيْهِمْ نَخْصًا مِنْ وَلَدِ أَرْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشْئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوعِهِ مِنْ آدَابِ النُّجُومِ . وَأَسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
فَجَهَّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مُلْكِهِ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَأَسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَقَعَا عَنْهُمْ وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِالْأَهْوَى إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م)
وَمَلَّكَ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ النَّضْرَانِيَّ
فَقَتَرَهُدَا (٤٦٩) . (*) وَمَلَّكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْرَدُ وَهُوَ الَّذِي أُتْقِرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعَدَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلَّكَ
أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُهْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
اسْتَخَفَّ أَبُو يَهْرَ بْنَ عُلْقَمَةَ الذُّمَيْلِيُّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٍ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلَّكَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بِكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بِكْرٌ قَبْلَهُ تُتَبِّمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ وَتَمُضِدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَابِي الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحْبُ بِنَا النَّأْتُ فَهُ نَحْوُ الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلَّكَ الْمُنْذِرُ الثَّلَاثُ ابْنَهُ وَهُوَ ذُو

أَلْقَرَتَيْنِ اضْفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبِيلُ الْأَبْيَ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُعِيْمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيِ
عَطَاءٍ وَجُودًا فَعَلَبَ عَلَى نَدِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كَثُومٍ
قَتَلَهُ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بَدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ الْمَلَّبُ بِأَحْمَرٍ رَهْنَدُ أُمِّهِ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا نَجِيمًا
فِي دَارِهَا قَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشِرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِنًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ التُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي بَنَى الْغُرَيْرِينَ وَتَصَرَّ (للتويزي والمسدودي)

خبر تصر التعمان

٤٠٩ كَانَ التُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَعْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ خَصِيرَةٌ
يُظْهَرُ أَلَيَّةٌ ثُمَّ يُجْعَلُ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْخَفَرَتَيْنِ . فَعَمِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُمَا لَا كَيْفَهُمَا . فَتَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنِ يَبُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَرُوقُ

أَمَا إِلَهُكُمَا فَقُلْ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتَ فَلَا بَكَاءَ خَلِيقُ
 ثُمَّ رَكِبَ النَّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْغُرَيَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَبَنِيَا
 وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغُرَيَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
 يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
 مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ شُومًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
 يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيَغْرِى بِدَوَاهِ الْغُرَيَانِ .
 فَلَمَّا بَذَلَكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ يُقَالُ لَهُ
 حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءٍ . كَانَ أَوَى النَّعْمَانِ فِي خَبَاءِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
 الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِسْبَابُ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
 يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لبنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
 النَّعْمَانُ وَافْدًا إِلَيْهِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي ذِي
 هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَبَيْتُ الْأَمْنُ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
 أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
 مَا رَأَيْتُ أَفَلَا تَكُنْ مِثْرَتِي . قَبْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً
 أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ نَوَّجَانِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكُمُ مِنْ أَمْرِهُمْ
 مَا أَرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بَكَ
 حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ جُلْسَانَهُ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو بْنِ لُثَيْدٍ :
 يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
 يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحِيَا مَنْ لَا حَيَالَهُ
 إِنَّ شَيْئَانِ قَبِيلُ أَكْرَمَ اللَّهُ رَجَالَهُ
 وَأَبْوَكُ الْحَزِيرُ عَمْرُو وَشَرَّاجِيلُ الْحِمَالَةِ
 رَقِيَّاكَ الْيَوْمَ فِي التَّجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

قَوَّبَ شَرِيكَ وَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنُ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا خِذْ لِحَنْظَلَةٍ
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ لَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا إِنَّا ظَرِهُ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَذَلًا. وَلَمْ أَصْبَحْ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيِ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوِي
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيَتَحَيَّ الطَّاءِي. فَلَمَّا
 كَادَتِ الشَّمْسُ تَبِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِي قَدْ تَكَمَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوَفَاءُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى أَوْفَاءٍ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْعَذْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّرَ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِي.

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْزَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ وَأَنَا لَا أَكُونُ إِلَّا مِثْلَ الْفَلَاةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَصَرَّ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَنَاسِرَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَرْوَيْهِ (٦٠٤ ب م) وَأَنَّهُ طَعَمَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الْإِغَانِي)

٣ الفساستة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالُ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَضْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْبَادَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْإِيمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاصِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَلَّهَ قَوْمٌ فَتَزَلُّوا
عَلَى مَا يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شُرَبَهُمْ فَسَمَّوْا غَسَّانَ . ثُمَّ أَتَوْهُمْ ثَلَاثَةُ
أَبْنَاءِ عَمْرِو النَّسَائِيٍّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا تَزَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سُلَيْجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَائِيَّةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جِبَائِهَا سَيْطَانًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَاهُمْ فَقَصَدَ سَيْطَانُ ثَلَاثَةَ رَأْسِهِمْ وَقَالَ : تَهْجَانِ لِي الْإِثَاوَةَ
أَوْ لَا خِذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَلَاثَةُ حَلِيًّا قَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عَنْكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِذْعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جِذْعٌ فَأَيْكَمَا
فَأَتَاهُ سَيْطَانٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَلَاثَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَيَّ أَنْ أَجْعَلَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذهُ . فَنَاقَلَ سَيْطُ جَفَنَ السَّيْفِ وَاسْتَلَّ جِذْعَ نَهْلِهِ
وَضَرَبَهُ بِهِ . فَقِيلَ : خُذْ مِنْ جِذْعِ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَوَفَعَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيمٍ وَعَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ عَسَّانَ سَلِيمًا مِنَ الشَّامِ وَصَارُوا
مُلُوكًا . وَاسْتَقَرَّ مُلْكُ الْفَسَّاسَةِ ٤٠٠ سَنَةً بَدِيفٍ (*) (الحزبة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) هم بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بعير ملكٍ تأكل القوي الضعيف حتى ملك
حجرٌ وكان تبعٌ حين أبيل سارًا إلى العراق استعمله عليهم . فشدَّ أمورهم وساسهم أحسن
سياسةٍ وانتزع من الغنمين أرضهم وبقي وحده في مملكته مطاعًا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملكت بعده ابنته المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخفَّ الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوتروان واربع المئذنة الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب فلم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
بنين ولهم على قبائل كندة . وكان حجر أكبرهم متوليًا على بني اسد فنقضوا امره وقتلوه . فقام
امرو القيس واستخيد بيكر وتغلب على بني اسد فاجتدوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تحاذلت عنه بكر وتغلب وتطلبه المئذنة بن ماء السماء . ففترقت جموع امري القيس
خوفًا من المئذنة وخاف امرو القيس من المئذنة . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
أناس إلى أناس حتى قصد السموئل بن عدياء اليهودي فأكرمه وأنزله . وأقام امرو القيس
عند السموئل ما شاء انه . ثم سار امرو القيس إلى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدراء
عند السموئل بن عدياء المذكور . ومر على حماة وشيزر ونال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رى الدرب دوني وألحق إننا لأحسان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إننا نحاول ملكاً أو نموت فمعدنا

فأت امرو القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولأعلم بموته هاك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عيب

ولما مات امرو القيس سار الحارث بن أبي شمر الفسائي إلى السموئل وطالبه بأدراع
امري القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموئل . فلما
امتنع السموئل من تسليم ذلك إلى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدرع وإما قتل
ابنك . فقال السموئل : لست أخفِرُ ذمتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموئل ينظر إليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَقَتَّلُوا سِدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمَنُ بَعْدَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضَرَمَوْتِ . وَأَصَابَ الْيَمَنُ فَحْطُ قَهْرٍ وَانْخَوَتْ تِهَامَةُ يَطْلُبُونَ
أَلْمَاءَ وَالْمَرْغَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَخَذُوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاَهُمْ إِلَى الْوَحِيدِ وَتَوَفَّى لِيَلَانَةِ
وَتِلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا أَلَيْتَ الْحَرَامِ . وَكَانُوا وَلَايَةً وَحُجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وَلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظِيمًا وَاسْتَخْلَفُوا بِحَرَمَةِ
أَلَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَائِرَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطْأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضَيُّمُوا عَلَيْنَا مَرَاتِنَا وَمَوَارِدَنَا فَارْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فغضب العرب به المثل في الوفاء . وقال (السموئل) :

وفيت بأدراع الكديني إني إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ

بني لي طاديا حصنا حصينا وما كَلِمًا شئتُ استغيتُ

وفيمًا تزلق العقبا عنه إذا ما نابني ضمُّ أبيتُ

وأرصى عاديا قدامًا بألا تُحْدِمَ يا سموئل ما بنيتُ

(لا يي العدا)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقَامْتُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَأَنْهَزِمَ جُرُهُمُ فَلَمْ
يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ يُهْدِرُ دَمَهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ
وَأَخْرَجَتْ خُزَاعَةَ بِمَكَّةَ قَوْلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذْنَوْا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةُ
أَبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَلْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَاقَ
الْأَبْلِ وَلِحْمَانَهَا عَلَى التَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ حَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَنْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَوَيْبَ السَّابَةِ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَسِمُّ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَبِيبِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُزَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
وَأَمَّ قُصَيُّ الْقُرَيْشِيُّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَنْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
قَبَاعَهَا مِنْ قُصَيِّ بَرْقٍ خَرَفَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفَةِ أَبِي غَنْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصَيُّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُزَاعَةَ فَتَجَاوَزُوا
وَكَبَّرَ الْقَتْلَ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَحْكُمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ هـ م) . فَصَارَ
لِقُصَيِّ لَوْلَاهُ الْحَرْبُ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَمَنَّتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكُتَيْبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
ثُمَّ تَصَدَّى لِإِظْهَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
هَلَكَ فَصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للاذرقى)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٢١٢ كانت العرب في أوّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قديم عمرو بن لحي بنسب
يقال له مُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْش عندهما فكان الرجل اذا قديم من سفر بدأ به
على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان مُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
وكانت يده اليسرى مكسورة فأدركته قُرَيْش فجمعت له يدا من ذهب . وكانت له خزنة
للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة ويقولون : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِيهِ
السُّرَاح . ان لم تقبله فسر القِداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
تبارك الناس به وقُرْدُونُهُ وَتَقَبَّلُهُ . وكان بأسفل مكة قد نُصِب صنم يُعرف بالتماسة فكانوا
يلبسونها القلائد ويحدون اليها الشعير والحنطة . ويصبون عليه اللبن ويدبحون له اياه يذبحون
عليها بيض النعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيّارات من لكواكب . وهي المشري
وقيل ان اصل اسمه ذو شراه اي ساطع النور . والرهرة وزحل والمريخ وغيرها من الثوابت .
ومن معبوداتهم ايضاً المناة واللّات وعزى . وكانت المناة على ساحل العرما يلي بُدَيْد .
وكانت مغرة تُراق عليها دماء الذبائح ويتمسكون منها المطر في الحَدَب . وكانت اللّات ايضاً
صخرة صنم للشمس اذا مرّ عليها الحاج يلتزمها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
ومنه اسم الجلالة . وأمّا العزى فكانت نخرة يعظمها قُرَيْش وبنو كنانة . ويطوفون بها بعد
طوافهم بالكعبة ويكفون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللّات والعزى ومناة في كل
واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراعى للسدنة وهم الحنابلة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
بنو حنيفة في الجاهلية المخدرا لها عبده دهرًا طويلاً ثم أصابهم نجاء فاكلوه . فقبل في ذلك :

أكلت حنيفة رجلاً زمن التَّحَمِّمِ والجاه
لم يحذروا من رجم سوء العقوبة والتَّباه

ومن أديانهم الجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية أصنام الذهب لشمس
وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المادان والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب
تفيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس أعني الأصنام . وتعلم
الناس منافهم وكذلك قالوا في الأنهار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك
الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حبر وكنانة وبني الحارث
ابن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : إن قبائل شتى من
بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم المباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
تصنروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وأضاعة وجرا
وتيوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة مثال مريم مزوّفاً
وابنهما عيسى في حجرها قائداً مزوّفاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس
صورهما بل بقيتا إلى عهد ابن زُبَيْر فهلكتا في الحريق (التوري والازرقى)

٢ علوم العرب وآجام

٢١٣ فأمّا علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم وإحكام لغتهم ونظم الأشعار
وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والدلالة
في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات طالع النجوم ومفارجها وعلم بأواء الكواكب
وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول الخبرة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في
أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يحفهم الله شيئاً منه ولا هياً
طبائهم للمناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب وصنّى حكمتها والمنظوم من كلامها
ولمقيده لأيامها والشاهد على حكاياهم به يأخذون وإليه يصيرون . وكانوا لا يُحْسِنُونَ إلا بغلام
يولد أو شاعرٍ ينبغ فيهم أو فرس تتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخّروا به إلا السيف
ولضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون إلى سوق كاظ ويتبايعون ويتشادون
ويتفخرون ويتعكظون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر ونفسيها له أن عمدت إلى سبع
قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال
لها معقّات لأنها علفت في أسرار الكعبة . أأ الكتابة فحكموا أن ثلاثة نفر من طي كانوا على دين
عيسى فوضوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فعملته قوم من الأبار وجاء
الإسلام وليس أحد يكتب العربية غير بضعة عشر إنساناً . وإنّلة القرطيس عندهم عمدوا إلى
كثيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والقيّون . والآخر من كان
لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والامتيون بمكة (إلى الفرج والحوهرى)

ثم يحول تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجـ	وجـ
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الأول في التدئين
٦٤ امتعار جارية مجرى المثل	٣ في كماله تعالى
٦٥ الباب السادس في امثال عن السنة	٤ الدعاء لله
٦٨ الحيوانات	٧ منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البازي والديك برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرد	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساءة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغيلم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الضعة والرحل اسد وذئب وغراب	١٦ في الخوف زهد الثمان و امرئ القيس
٨٣ الحدي السالم والذئب البادم	١٧ عدي بن زيد واليمان
٨٥ قارة وهر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ الحدهد المير المقروي	١٩ الراهب الجرجاني ولشيخ عمر الصيني
٩٢ مالك الحزين والسككة	٢٩ حفظ الحواس
٩٤ الديك والتعلب	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٧ الحمل واللمح	٣٢ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العابثون مجتبه	٣٥ التوبة الى الله
١٠٣ الباب السابع في الفضائل والروايل	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٣ الصبر	٤٦ الباب الرابع في الحكم
١٠٥ القناعة	٥٠ نواذر بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧ العدل	٥٢ حكم شاتاق الهندي
١٠٩ الكرم	٥٤ اشعار حكمية
١٢٠ الموفاء الراي والمثورة	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٣ الحسد	٦٢ فصل من نواذر كلام العرب
١١٤ حفظ اللسان وكتمان السر	٦٣ نبذ من كلام الزمخشري والبسي
١١٧ الغيبة	
١١٩ الصدق والكذب	

وجه	وجه
١٨٢	١٢٠ الزواج
الباب الثاني عشر في الاماز	١٢١ الصداقة وخلوص المودة
١٨٧	١٢٧ المطل في الوعد التواضع والكبر
الباب الثالث عشر في الوصف	١٢٩ الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٤	١٢٩ في العقل وماهية وشرفه
١٩٤	١٣٣ في العلم وشرفه
١٩٥	١٣٨ وصف الكتاب
١٩٦	١٤١ في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٠	١٤٢ في الشعر
٢٠٣	١٤٤ في الأدب
يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك ٢٠٨	١٤٧ الآداب العامة
٢٠٩	١٥٠ الباب التاسع في اللطائف
٢١١	١٥٠ الحداد والامير
٢١٢	١٥١ الحجاج والفتية
٢١٢	١٥٢ ابو العلاء وكتاب المعصوم
٢١٥	١٥٣ فتي فصيح علي بن الحزم والمتوكل
٢١٨	١٥٤ درواس بن حبيب ومشام
٢١٩	١٥٥ الشاعر المرومي
٢٢٠	١٥٦ المصور وابن هيرة
قصة رجل احار رجلاً استأثرت به ٢٢٠	١٦٠ ابو عبادة البصري عند المتوكل
الباب الخامس عشر في الفكاهات ٢٢٥	١٦٢ الركاظ والرشيد
سيد العرب ابن المغازي عند المعتضد ٢٢٥	١٦٤ الأعمى والأعور
ارهم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد ٢٢٨	١٦٦ اولاد نزار عند الافعى
٢٣٠	١٦٧ الباب العاشر في المديح
٢٣١	١٧٦ الباب الحادي عشر في الفخر والعجز
٢٣٣	١٨١ ابن كدة عند كرمي
٢٣٥	

وجه	وجه
٢٨٧ فصل في المدح والشكر	٢٣٥ معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨ فصول في التمازي	٢٣٦ شهد الحسين
٢٩٠ فصول في وصاة	٢٣٧ مروءة اسماعيل العزرجي
الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١	٢٣٩ جود حاتم الطائي
٢٩١ نظر في امة العرب وطبايعهم وسكنام	٢٤٠ إيثار ابن مامة الايادي
٢٩٢ ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٤١ صنم سومتاة
٢٩٢ اخبار عرب العاربة والبيثاء	الباب السابع عشر في الاسفار ٢٤٢
٢٩٤ العرب المتعربة بنو قحطان	٢٤٢ مدح السفر
٢٩٤ ملك يعرب ويثجب وسبا بني قحطان	٢٤٤ ذم السفر
٢٩٥ سد مأرب وتفرع بني سبا	٢٤٤ سفرة ابن حيدر الى جزيرة صقلية
٢٩٦ ملك التباة بني حيدر في اليمن	الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٦ ملك شدد وتبع وافريقس وذو الازعار	٢٥٥ في تريح عجب الموجودات
٢٩٧ ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	٢٥٩ في جرم الشمس ووضعها
٢٩٩ ذو نواس وشهداء الصرائية في نجران	٢٦١ في كسوف الشمس وبعض خواصها
٣٠١ استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٢٦٢ فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠٢ اخبار سيف بن ذي يزن	٢٦٤ في الهجرة والكرآك التوابت
٣٠٤ ملك الماذرة بني كهلان في العراق	٢٦٥ فصل في ارباع السنة
٣٠٤ ملك بن فهم وحذيفة الابرش وابن عدي	٢٦٨ فصل في توارد الاخبار
٣٠٦ امرؤ القيس البدء والحرق والعمان	٢٦٩ جسم الارض ودوراحا وهيئتها
٣٠٨ المنذر والعمان والاسود وامرؤ القيس	٢٧٠ في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٣٠٨ ملك المذرتالث والعمان قابوس	٢٧١ في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك
٣٠٨ خبر تضر العمان	الباب التاسع عشر في المراسلات ٢٧٣
٣١٢ المساندة ملوك الشام بنو كهلان	٢٧٣ في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٣ ملوك كندة	٢٧٧ في الاشواق وحسن التواصل
٣١٤ ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٢٨١ فصل في التهنة
٣١٦ ملحق بتاريخ العرب	٢٨٢ في التوصية
٣١٦ اتيان العرب	٢٨٤ فصول في الذم
٣١٧ علوم العرب وآدابهم	

